

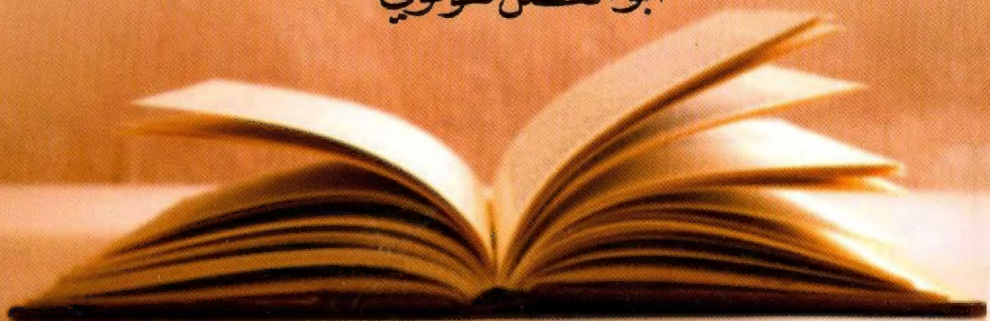
# بيان زغل العلم

للخافض الذهبي

حَقَّقَهُ

محمد بن عبد الله أحمد

أبو الفضل القنوي



دار الكتب

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

دار الميمنة  
للنشر والتوزيع

سورية - دمشق - هاتف: 00963-11-5827281

جوال: 00963-933119455

daralmimna@gmail.com

المملكة العربية السعودية - جوال: 00966-558343947

# بيان زغل العلم

لِلخَافِظِ الذَّهَبِيِّ

حَقَّقَهُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَأْسُ

أَبُو الْفَضْلِ الْقُنُونِي

دَارُ الْيَمِينِ



## مقدمة

أولاً- الجديدُ في تحقيقِ الرسالةِ  
ثانياً- دراسةُ في الكلماتِ العائِرةِ التي وُصِفَ بها  
شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةٍ في الرسالةِ



## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على محمد خاتم رسله وأنبيائه. ربّ إني أستعين بك، وأتوكّل عليك، أنتَ حَسْبِي، أَسْأَلُكَ الهداية لما اخْتَلَفَ فيه مِنَ الْحَقِّ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. أَمَّا بَعْدُ:

فهذه رسالة: بَيَانُ زَغَلِ الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>، لمؤرِّخ الإسلام، أبي عبد الله الذَّهَبِيِّ، رحمه الله تعالى، أَرَادَ بِهَا الْحَافِظُ أَنْ يُنَبِّهَ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ عِلْمٍ مِنْ عُلُومِ زَمَانِهِ، وَمَنْ قَضَى فِي طَلَبِهَا مَرَاحِلَ مِنْ عُمْرِهِ، حَتَّى صَارَ مِنْ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ فِيهِ؛ إِلَى الشَّوَابِ الَّتِي اعْتَرَتْ طَوَائِفَ مِنَ الْمُتَنَسِّبِينَ إِلَيْهِ؛ فَأَفْسَدَتْهُ، مِنْ بَدَعٍ أُدْخِلَتْ فِي عُلُومِ الدِّينِ، أَوْ نَقَصَ كَانِ فِي أَخْلَاقِ حَمَلَتِهَا،

(١) الزَّغْلُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: الصَّبُّ دُفْعًا، يُقَالُ: زَغَلَ الْمَاءُ، وَأَزْغَلَهُ: صَبَّهُ دُفْعَةً دُفْعَةً، وَأَزْغَلَ الشَّارِبُ الشَّرَابَ إِذَا مَجَّهْهُ، وَالزُّغْلَةُ مِنَ الشَّرَابِ قَدْرٌ مَا يَمْلَأُ الْفَمَ، وَيُقَالُ: أَزْغَلِي لَهُ مِنْ سِقَائِكَ، أَيُّ: صَبَّيْ لَهُ شَيْئًا مِنْ لَبَنٍ، وَالزُّغْلُ: الْغَشُّ وَالْخَدِيعَةُ، تَقُولُ الْعَامَّةُ (فِي بِلَادِ الشَّامِ): هُوَ زَغْلٌ وَمَزْغُولٌ أَيُّ: مَغْشُوشٌ، وَهَذَا الشَّيْءُ خَالٍ مِنَ الزَّغْلِ، أَيُّ: بَرِيءٌ مِنَ الْعُيُوبِ. انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١٢/٣-١٣، وأساس البلاغة، للزمخشري ص ٢٧١، وترتيب القاموس المحيط، للطاهر الزاوي ٤٥٧/٢، والمعجم الوسيط، ص ٣٩٥، وَرَدَّ الْعَامِيُّ إِلَى الْفَصِيحِ، لِأَحْمَدَ رِضَا، ص ١٦٢. ومعجم فصحى العامة، لأحمد أبو سعد، ص ٢٠١-٢٠٢.

أو علومٍ شاذّةٍ طَرَأَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَكَتَبَ مُبْدِيًا رَأْيَهُ فِيْمَا يُدْثَمُ وَيُعَابٌ فِيْهَا وَفِيْهِمْ، لِيَتَجَنَّبَهَا طُلَّابُ عِلْمِهَا.

وقد ترى في عنوان الرسالة توريةً لطيفةً تُؤمى إلى لقب المؤلف: (الذهبي)، وخبر الذهبين بخالص الذهب من مغشوشه، ومعلوم أنه قد أعان والده الشيخ ابن قايماز الذهبي (ت ٦٩٧هـ) في صنّعه، ولا بدّ أنه ثقف عنه معرفةً صحيح الذهب من زغله، وقد قال في المغشوش منه في أيامه: «... وكان على الذهب كسفةً بيّنة»، فكأنه أراد القول: إنّ معرفتي بزغل العلم في هذه الرسالة، كمعرفتي بزغل الدينار في التجارة. (١).

وإنها لرسالة نافعةٌ لولا ما تَصَمَّتْهَا مِنْ مبالغاتٍ، أشار لإحداها الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلاني<sup>(٢)</sup>، وللأخرى ابنُ طولون<sup>(٣)</sup>، وإنها لرسالةٌ حسنةٌ لولا كلمات معيبة صَدَرَتْ عن المؤلف في حق ابن تيمية، شيخ الإسلام وشيخه، تعاظَمَ الناسُ إلحاقها به، لأنه خيرةٌ من عَرَفَ جليل قدر ابن تيمية، وعَرَفَ به، وأبان علو مكانته في العلم والتقوى، في غير ما مَوْضِعٍ مِنْ تَصَانِيْفِهِ، وافرُ ثناءٍ لم يُشَبَّ بِمَنْقَصَةٍ، ومحبةٌ لم يُخَالِطْهَا غُلُوٌّ، وإنصافٌ قلَّ نَظِيرُهُ.

وقد دَرَسْتُ جميعَ كلامِ الذهبي على شيخ الإسلام ابن تيمية، في

(١) انظر: حول تلك المعرفة، وبعض أخبار تزوير النقد في العهد المملوكي في: تاريخ الإسلام، للذهبي ١٥/٦٤٥، ٧٧٧، وذيّل تاريخ الإسلام (الصواب أنه ذيّل لسير أعلام النبلاء)، له ص ٣٠٠-٣٠١، ودُول الإسلام، له أيضاً ٢/٢٧٦.

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر العسقلاني: ١/١٦٩.

(٣) نقد الطالب لزغل المناصب، لابن طولون: ص ٩٥.



المطبوع من مؤلفاته، وتأملته مع ما في هذه الرسالة، التي وقفت على سبع نسخ خطية منها، بينها نسخة (برلين)، فأنكشفت لي أمور جديدة ذكرتها في الدراسة، فيها اعتذار عن مؤرخ الإسلام، وهي وإن لم تثلج قلوب جميع محبي الإمامين، إنها لمسخة أعين شائيهما.

وإن أنس لا أنس أن أشكر من تفضلوا بقراءة الكتاب وأبدوا ملحوظاتهم فيه، فجزاهم الله تعالى عني كل صالحة.

هذا، وأسأل الله - عز وجل - أن يسامحني إن أخطأت في تعبير، أو غلطت في نتيجة، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

وكتب  
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَزَّازِ

(ابن الفضا القوي)

المدينة المنورة



## المؤلف:

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَايِمَاز (وتعني «قايماز» باللسانِ التُّرْكِيِّ: الثَّابِتُ الَّذِي لَا تَزِلُّ قَدَمُهُ)، التُّرْكَمَانِيُّ، الْفَارَقِيُّ، الدَّمَشْقِيُّ، الشَّافِعِيُّ، شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الْمَعْرُوفُ بِالذَّهَبِيِّ، مُؤَرِّخُ الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ كِبَارِ حُفَاظِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِهِ. وُلِدَ فِي دِمَشْقَ سَنَةِ: ٦٧٣ هـ، وَارْتَحَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةِ ٦٩٥ هـ، وَطَافَ بِلَدَانَا كَثِيرَةً، وَلِيَ خُطَابَةَ قَرْيَةٍ: «كَفَرَبُطْنَا» مِنْ غُوطَةِ دِمَشْقَ مَدَّةً، ثُمَّ وَلِيَ مَشِيخَةَ الْحَدِيثِ بِدِمَشْقَ فِي أَمَاكِنَ، مِنْهَا: الظَّاهِرِيَّةَ، وَالنَّفِيسِيَّةَ، وَالتَّنْكَزِيَّةَ، وَوَلِيَ مَشِيخَةَ الْإِقْرَاءِ بِتُرْبَةِ أُمِّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَبِهَا كَانَ يَسْكُنُ بِأَخْرَةٍ.

## شيوخه:

ذَكَرَ الصَّفَدِيُّ أَنَّهُمْ أَلْفٌ وَثَلَاثُ مِائَةٍ شَيْخٍ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ تَرَجَّمَ لَهُمُ الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابَيْهِ: (مَعْجَمُ الشُّيُوخِ)، وَ(الْمَعْجَمُ الْمُخْتَصَرُ بِالْمُحَدِّثِينَ)<sup>(٢)</sup>، وَأُورِدَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَسْمَاءُ أَشْهُرِهِمْ.

(١) أعيان العصر وأعيان النصر، للصفدي: ٢٩١/٤.

(٢) طبعاً بتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق بالطائف، ١٤٠٨ هـ.

## مكانته:

تُغْنِي شُهْرَتُهُ بِالتَّقَدُّمِ فِي الْعِلْمِ عَنِ التَّكَثُّرِ بِنَقْلِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنْ أُشِيرُ هُنَا إِلَى أَنَّ مِثْلَ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْكَلَانِيِّ (ت ٨٥٢هـ) شَرِبَ مَاءَ زَمْزَمَ دَاعِيًا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبَيِّلَهُ مِثْلَ مَرْتَبَةِ الذَّهَبِيِّ فِي الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>، وَقَالَ الْإِمَامُ تَقِي الدِّينِ الْفَاسِيُّ (ت ٨٣٢هـ) فِي تَرْجُمَتِهِ: «...واعتَرَفَ لَهُ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ بِوَافِرِ الْفَضْلِ فِي فُنُونِ الْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»، وَقَالَ: «وَكَانَ الذَّهَبِيُّ مَتَبَحِّرًا فِي مَعْرِفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالتَّأَخَّرِينَ، وَلَا يُحَابِي مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَا يَتَحَامَلُ عَلَى أَحَدٍ، وَيُوضَحُ مَا يَقَعُ فِي كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ إِسْرَافٍ فِي جَرْحٍ أَوْ انتِقَادٍ فِيمَا يَحْكِيهِ عَنْ غَيْرِهِ. وَكَانَ كَثِيرَ الْحِفْظِ لِلْمُتُونِ وَالْآثَارِ، جَيِّدَ الْخَبَرَةِ بَعْلَلِ الْحَدِيثِ وَالْعَالِي وَالنَّازِلِ، مَلِيحَ الْعِبَارَةِ فِي تَصَانِيفِهِ وَتَعَالِيْقِهِ»، وَقَالَ: «وَبَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنْ وَلايَتِهِ لِدَارِ الْحَدِيثِ الْأَشْرَفِيَةِ بِدَمَشَقَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَشْعَرِيًّا، وَذَلِكَ لَمَّا شُغِرَتْ لِمَوْتِ مُدَرِّسِهَا الْحَافِظِ جَمَالِ الدِّينِ الْمَزِّيِّ [ت ٧٤٢هـ]، وَمَا وَلَّيَهَا الْمَزِّيُّ حَتَّى أَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ أَشْعَرِيٌّ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَرْطٌ فِي مُدَرِّسِهَا. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَثَرَةِ دِينِ الذَّهَبِيِّ وَوَرَعِهِ، إِذْ كَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّهُ أَشْعَرِيٌّ وَيَلِيَهَا، وَلَا يُؤَثِّرُ ذَلِكَ فِي كَوْنِهِ لَا يَرَى اعْتِقَادَ الْأَشْعَرِيِّ»<sup>(٢)</sup> وَلَمْ يَكُنْ - بَعْدَ الْحَافِظِ الْمَزِّيِّ -

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التواريخ، للسخاوي، ص ١٠٤.

(٢) كتاب: تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء، للفاي ص ٤٩-٥٠. قلت: لا يفهم من شهادة الحافظ المزني على نفسه بأنه أشعري تنقص منه، فقد كان يدري أن آخر ما استقر عليه الأشعري (ت ٣٢٤هـ) في المعتقد هو اعتقاد إمام أهل السنة والجماعة، الإمام أحمد بن حنبل، فلا تريب عليه فيما فعل، وليس في الأمر خدعة، وكان الأشاعرة يعلمون مقصد المزني حين كتب لهم بخطه أنه أشعري، ولكن حياء العقلاء منهم أنطق قاضيه بواقع الحال، لما طلب إليه عزله عن الأشرفية، فقال: هذا إمام المحدثين، والله لو عاش الدارقطني استحي أن:

أحفظُ منه. رحمهما الله تعالى.

وكان للذهبي أربعة أبناء: أمة الله، وعزيزة (كانتا على قيد الحياة سنة ٧٢٢هـ)، وعبد الله، أبو الدرداء (ت ٧٥٤هـ)، وعبد الرحمن، أبو هريرة (ت ٧٩٩هـ)<sup>(١)</sup>. قال التقيُّ الفاسي: «... وقرأ بها (يعني: الذهبي بكُفْرَ بَطْنًا) الحديث لابنه - شيخنا- أبي هريرة عبد الرحمن، وغيره من أولاده، وقد عني كثيراً بتسميع أولاده، وانتفع الناس بما سمَّعه لهم»<sup>(٢)</sup>

من تصانيفه:

- (١) تاريخ الإسلام.
- (٢) سير أعلام النبلاء.
- (٣) العبر في خبر من عبر.
- (٤) ميزان الاعتدال في معرفة أحوال الرجال.
- (٥) تذكرة الحفاظ.
- (٦) دُول الإسلام.
- (٧) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.
- (٨) كتاب العرش (العلو للعلي الغفار).

= يُدرّس مكانه. (انظر: طبقات الشافعية، للسبكي ١٠ / ٣٨٩)، وكذا فقد كانوا على علم «بسلفية» صهره الإمام ابن كثير، وما عناه إذ قال عن نفسه مرّة: إنه أشعري، وذلك حين نازعه فاضل في التدريس فقال له ذلك الفاضل: «لو كان من رأسك إلى قدمك شعراً ما صدّقك الناس في قولك: إنك أشعري، وشيخك ابن تيمية!» الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر: ٤٠ / ١.

- (١) ذيل تاريخ الإسلام، للذهبي ص ٢١٠، انظر مقدمة محققه الدكتور عمر تدمري، ص ٧.
- (٢) كتاب: تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء، للفايبي ص ٤٩.

(٩) معرفة القرون.

(١٠) معرفة الكبائر.<sup>(١)</sup>

(١١) تلخيص المستدرك للحاكم.

(١٢) تذهيب التهذيب (اختصار: تذهيب الكمال، للمزي).

(١٣) الكاشف في رجال الكتب الستة (اختصره من الكتاب السابق).

(١٤) اختصار تحفة الأشراف، للمزي.

(١٥) المنتقى من منهاج السنة النبوية.<sup>(٢)</sup>

قال تقي الدين الفاسي: «وتوالفهُ التي في مقدارِ كراسة وشبهه وأقلُّ منه كثيرةٌ جدًّا»، «وقلَّ أن رأى كتاباً مفيداً لغيره إلا اختصره أو استدرك فيه أو انتقى منه»، ونقل عن الحافظ المزي أنه قال بعد أن نظر في بعض ما اختصره الذهبي ما معناه: «الشيخ شمس الدين الذهبي إذا اختصر شيئاً أذهبه!»، فتردّد الناس هل أراد بقوله: «أذهبه» أعدمه، أو حسّنه كما تحسّن الكتب بالذهب؟ قال الفاسي: «والأوّل أقرب، والله أعلم»<sup>(٣)</sup>.

(١) قال التقي الفاسي: «كان يكره نسبتهما إليه، لأن الناس كانوا يقولون: «الكبائر» للذهبي، و«القرون» للذهبي!». انظر كتاب: إيضاح بغيّة أهل البصارة في ذيل الإشارة. الورقة ٥٨.

(٢) قال الذهبي في ترجمة ابن المطهر (ت ٧٢٦هـ): «... وكتابه في الإمامة ردّ عليه - شيخنا - ابن تيمية في ثلاثة أسفار، واختصرت ذلك - أنا - في سفر!». ذيل تاريخ الإسلام ص ٢١٤.

(٣) تعريف ذوي العلا، ص ٤٨ - ٤٩. قلت: ظاهر معنى كلمة المزي الدائم وعدم الرضا، ولكن لا يُظنُّ بالمزي أن ينكر الفوائد التي تضمّنتها مختصرات الذهبي، لذا يردّ أنه كان يعني بـ(أذهبه) أي جعل أصله، الذي اختصر منه، ملغى، كأن لم يكن، لتقدمه عليه جودة، فإن صحَّ أن هذا هو المراد، فلا يدخل في ذلك من كتاب منهاج السنة النبوية، ذلك أن الكتاب في أصله نسيجٌ عبقريةٌ أحكمت سياق الحجاج العقلية والنقلية، في وجاه شبهات وأوهام من ليس له في العقل والنقل كبير شيء، في عبارات قوية إيمانية، فمهما جئت تختصر من كتاب كهذا لم يكن

## وفاته:

أُصِيبَ الذهبيُّ بداءٍ في بَصَرِهِ سنة ٧٤١هـ، فكان فَقْدُهُ لِلْبَصَارِ «قليلاً قليلاً، إلى أن تكاملَ عدمه»<sup>(١)</sup>. وتُوفِيَ في دمشق ليلة الاثنين، ثالث ذي القعدة، سنة ٧٤٨هـ، عن خمسٍ وسبعين سنة، رحمه الله تعالى.<sup>(٢)</sup>

## نسبة الرسالة إلى المؤلف:

كُنْتُ يَوْمَ كَتَبْتُ دِرَاسَتِي عَنْ «النصيحة الذهبية لابن تَيْمِيَّة»<sup>(٣)</sup> فِي شَكِّ مَنْ نَسَبَ هَذِهِ الرَّسَالَةَ إِلَى الْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي - بَعْدُ - صَحَّةُ نَسَبِهَا، حِينَ عَرَفْتُ أَنَّ تَلْمِذَهُ الْحَافِظَ خَلِيلَ بْنِ كَيْكَلْدِي الْعِلَائِيِّ (ت ٧٦١هـ)، أَحَدُ مَنْ قَرَأَهَا عَلَى الذَّهَبِيِّ وَنَسَخَهَا<sup>(٤)</sup>، وَأَنَّ ثَلَاثَةَ أَعْلَامٍ مُؤَرِّخِينَ، قَدْ رَأَوْهَا، وَنَسَبُوهَا إِلَيْهِ، وَهُمْ: الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِي، وَتَلْمِذُهُ الْحَافِظُ

= صَنِيعَكَ إِلَّا «إِذْهَاباً» عَلَى مَعْنَى التَّنْقِصِ لِعَمَلِ الْمُخْتَصِرِ. وَلَوْ قُدِّرَ - يَوْمًا - أَنْ يُعْتَرَى عَلَى كِتَابٍ: «مَا أُخِذَ عَلَى تَصَانِيفِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيِّ الْحَافِظِ»، لِلْإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ الْهَادِي، (انظر: الذيل على طبقات الحنابلة ١٢٠/٥) لَوَضَحَ - فِي ظَنِّي - مَا عَنَاهُ الْمَرْيُ وَضَوْحًا يُقْطَعُ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
(١) هَكَذَا وَصَفَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ أَعْرَاضَ هَذَا الدَّاءِ الَّذِي أُصِيبَ بِهِ (انظر كتاب: أعيان العصر، للصفدي ٢٩٠/٤)، وَقَلِيلٌ مِنَ الثَّقَافَةِ الطَّبِيعَةِ فِي زَمَانِنَا يُسَوِّغُ لِلدَّارِسِ الْقَوْلَ: إِنَّ مَرَضَ الذَّهَبِيِّ الَّذِي مَاتَ بِسَبَبِهِ هُوَ: مُضَاعَفَاتُ دَاءِ السُّكَّرِيِّ.

(٢) مَصَادِرُ تَرْجَمَتِهِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: أَعْيَانُ الْعَصْرِ، لِلصَّفْدِيِّ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ، لِلْسَبْكِيِّ، وَالدَّرَرُ الْكَامِنَةُ، لِابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِي، وَإِيضَاحُ بُغْيَةِ أَهْلِ الْبَصَارَةِ فِي ذَيْلِ «الإشارة» (مخطوط)، وَكِتَابُ: تَعْرِيفُ ذَوِي الْعُلَا بِمَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ الذَّهَبِيُّ مِنَ النَّبَلَا، وَكِلَاهُمَا لِتَقِيِّ الدِّينِ الْفَاسِي، وَالْأَعْلَامُ، لِلزَّرْكَلِيِّ، وَكِتَابُ الدُّكْتُورِ بَشَارِ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ: الذَّهَبِيُّ وَمَنْهَجُهُ فِي كِتَابِهِ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ.

(٣) اسْمُ الْكِتَابِ: أَضْوَاءُ عَلَى الرَّسَالَةِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَى الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ: «النصيحة الذهبية لابن تَيْمِيَّة»، وَتَحْقِيقُ فِي صَاحِبِهَا. ص ١١، ٣٠. وَقَدْ نَقَحْتُ الْكِتَابَ وَزِدْتُ فِيهِ فَوَائِدَ أُخْرَى، يَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى نَشْرَهُ.

(٤) وَكَوْنُهُ كَذَلِكَ يُقَوِّي احْتِمَالًا وَارِدًا ذَكَرْتُهُ فِي: (أضواء على الرسالة المنسوبة...) ص ١٦-١٧.

السَّخَاوِي (ت ٩٠٢ هـ)<sup>(١)</sup>، والعلامة ابنُ طُولُونِ الدَّمَشْقِي (ت ٩٥٣ هـ)، وَصَرَّحَ الْأَخِيرُ بِوَقُوفِهِ عَلَيْهَا بِخَطِّ الذَّهَبِيِّ نَفْسِهِ، فَقَالَ: «وَلِلَّهِ دَرُّ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيِّ، حَيْثُ قَالَ فِيمَا قَرَأْتُهُ بِخَطِّهِ، فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ، وَإِنْ بَالِغَ لَكُنْهَ وَاللَّهِ مَعذُورٌ...»<sup>(٢)</sup> ثُمَّ نَقَلَ قِطْعَةً مِنْ كَلَامِهِ عَلَى الْمُحَدِّثِينَ. وَأَمَّا مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ، فَقَدْ ذَكَرَهَا الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْبَخَارِيُّ (ت ١٢٠٠ هـ) فِي كِتَابِهِ: «الْقَوْلُ الْجَلِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيِّ»، وَعَلَّقَ عَلَى كَلَامِ الصَّفِيِّ فِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ، بَعْدَ أَنْ نَقَلَ أُسْطَرًا مِنْهَا: الشَّيْخُ صَدِّيقُ بْنُ حَسَنِ خَانَ الْقَنُوجِيِّ (ت ١٣٠٧ هـ)<sup>(٣)</sup>.

وَتُومِي كَلِمَاتٌ غَاضِبَةٌ لِلْإِمَامِ ابْنِ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةِ (ت ٧٥١ هـ)، وَرَدَتْ فِي قَصِيدَتِهِ النُّونِيَّةِ، إِلَى أَنَّهُ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهَا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

رَامِي الْبَرِيِّ بِدَائِهِ وَمُصَابِهِ      فَعَلَ الْمُبَاهِتِ أَوْحَ الْحَيَوَانِ  
كَمُعِيرٍ لِلنَّاسِ بِالزَّغَلِ الَّذِي      هُوَ ضَرْبُهُ فَاعْجَبْ لَذَا الْبُهْتَانِ<sup>(٤)</sup>

(١) إنباء الغمر: ١/ ١٦٩، والإعلان بالتوبيخ، للسَّخَاوِي، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) نَقْدُ الطَّالِبِ لَزَعْلِ الْمُنَاصِبِ، لابْنِ طُولُونٍ: ص ٩٥.

(٣) الْقَوْلُ الْجَلِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَنْبَلِيِّ، ص ٣٧.

(٤) الْكَافِيَةُ الشَّافِيَّةُ فِي الْإِتِّصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، لابْنِ الْقَيْمِ، ٣/ ٨١١ دار عالم الفوائد.

وإنما قلتُ: «تومى كلمات..»، لجواز ألا يكون مرادُ ابنِ القَيْمِ بِالْمُعِيرِ: الذَّهَبِيُّ، وَبِالزَّغَلِ: رِسَالَتُهُ هَذِهِ، كَمَا أَفَدْتُ ذَلِكَ مِنْ رِسَالَةِ جَوَابِيَّةٍ بِـ(بَرِيدِ النَّتِّ) مِنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ: عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِمْرَانِ - وَهُوَ مِمَّنْ قَرَأَ الْكِتَابَ فِي مُسَوَّدَتِهِ - وَكَانَ مِنْ رَأْيِهِ: «أَنْ يُشَارَ إِلَى الْآيَاتِ، وَيُذَكَّرَ أَنَّ الْمَقْصُودَ: «الزَّغْلُ»، لِلذَّهَبِيِّ اِحْتِمَالًا»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَفْوَةَ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ الْإِمَامَيْنِ ابْنِ الْقَيْمِ وَالذَّهَبِيِّ (انظر كتاب: موقف خليل الصفدي من ابن تيمية، طبعة مدينة قونية في تَرْكِة، ص ١١٥-١١٦) تُسَوِّغُ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتَانِ زَادَهُمَا ابْنُ الْقَيْمِ، فِي قَصِيدَتِهِ النُّونِيَّةِ، حِينَ بَلَغَتْهُ رِسَالَةُ: بَيَانِ زَغَلِ الْعِلْمِ، وَمَا فِيهَا مِنْ عَاثِرِ الْقَوْلِ فِي شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَيُرْجَّحُ هَذَا مَا ذَكَرَهُ مُحَقِّقُو (الْكَافِيَةِ)، مِنْ وَجُودِ عِبَارَةٍ فِي الْمَخْطُوطِ، بِجَوَارِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ، نَصُّهَا: «بَيْتَيْنِ



وبعدُ فَإِنَّ أَسْلُوبَهَا يَشْهَدُ أَنَّهَا بِقَلَمِهِ، وَيَكْفِي أَنْ تُقَارَنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
كَلِمَاتٍ لِلذَّهْبِيِّ، انْتِقَاها الدُّكْتُورُ الْفَاضِلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَمَالُ عَزُورٍ - وَفَقَهُ اللَّهُ  
لَمَرْضَاتِهِ - مِنْ مُصَنِّفَاتِ الْإِمَامِ الذَّهْبِيِّ، لِتَلْحَظَ التَّشَابُهَ بَيْنَهُمَا بِنَفْسِكَ. (١)

### تَارِيخُ تَأْلِيفِ الرِّسَالَةِ:

لَمْ أَقِفْ فِي ذَلِكَ عَلَى سَنَةٍ بَعَيْنِهَا، وَلَكِنْ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ - بِالنَّظَرِ إِلَى  
كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ -: إِنَّهُ أَلْفَهَا (فِي إِصْدَارِ أَوَّلِ) فِي أُخْرِيَّاتِ حَيَاةِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ  
تَيْمِيَّةَ، وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِهِ عَنْهُ وَعَنْ تَعْبِهِ مِنْ تَحْلِيلِ شَخْصِيَّتِهِ سَنِينَ مِثْقَالَ،  
حَتَّى ذَكَرَ مَلَكُهُ مِنْ مُعَانَاتِهِ ذَلِكَ، وَيُعْلَمُ مِنْ سِيرَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَنَّ ذَلِكَ التَّعْبِيرَ  
لَا يَكُونُ مُنَاسِباً إِلَّا لَمَّا بَعْدَ عَوْدِهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى الْإِفْتَاءِ فِي مَسْأَلَةِ  
الطَّلَاقِ سَنَةَ ٧٢٠هـ، وَيَزِيدُ هَذَا الْاسْتِنَاجَ تَأَكِيداً وَتَحْدِيداً قَوْلُ الذَّهْبِيِّ فِي  
تَأْنِيْبِ تَلَامِيْذِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: «...وَمَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَتْبَاعِهِ  
أَكْثَرَ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُّونَ»، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَلْقَوْا مِنَ الشَّدَّةِ،  
فِي حَيَاةِ الذَّهْبِيِّ، أَشَدَّ مِمَّا بُدِّئُوا بِهِ فِي الرَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ  
٧٢٦هـ (٢)، وَيَكْفِي دَلَالَةً فِي بَيَانِ آثَارِ ذَلِكَ «الْإِرْهَابُ» الَّذِي أُنْزِلَ بِهِمْ، فِي  
هَذَا التَّارِيخِ، وَمَا بَعْدَهُ، قَوْلُ الْحَافِظِ الْإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ الْهَادِي (ت ٧٤٤هـ):  
«...وَضَعُفَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ قُوَّةٌ، وَجَبُنَ مَنْ كَانَتْ لَهُ  
هِمَّةٌ»، وَحَتَّى أَنَّهُمْ حِينَ خَوْفُوا «مَنْ أَنْ يُظْهِرُوا كُتْبَهُ، ذَهَبَ كُلُّ أَحَدٍ بِمَا

= مِنْ نَسْخَةِ الشَّيْخِ زِيَادَةَ»، وَمَخْطُوطُهُمُ الَّذِي اعْتَمَدُوهُ مَنَقُولٌ مِنْ نَسْخَةِ كُتْبِهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبِ  
الْحَنْبَلِيِّ، وَسَمِعَهَا بِقِرَاءَةِ وَالِدِهِ عَلَى ابْنِ الْقَيْمِ، وَهُوَ مُقَابِلُ بِأَصْلِ النَّازِمِ.

(١) اسْمُ الْكِتَابِ: كَلِمَاتٌ فِي الْعِلْمِ وَأَدَبِ الطَّلَبِ، وَالْإِتْبَاعِ وَذِمَّ الْإِبْتِدَاعِ، مُسْتَخْرَجَةٌ مِنْ كَلَامِ  
الْحَافِظِ الذَّهْبِيِّ. مَكْتَبَةُ الْمَعَارِفِ. الرِّيَاضِ.

(٢) انْظُرْ مَا قَيَّدَهُ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي ذَلِكَ، فِي كِتَابِهِ: تَارِيخُ حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَأَنْبَاءُهُ ٢/ ١١٢-١١٣.

عنده، وأخفاه، ولم يُظهرُوا كُتبه، فبقي هذا يَهْرُبُ بما عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه، ويودعه، حتى أن منهم من تُسرق كُتبه أو تُجحد فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يَقْدِر على تحصيلها»<sup>(١)</sup> فإذا ضُمَّتْ إلى هذا شيئاً آخرَ وَرَدَ في الرسالة، وهو قوله: «وَبِحَمْدِ اللَّهِ في الْوَقْتِ أَناسٌ يَفْهَمُونَ هذا الشَّانَ، وَيُعْنَوْنَ بِالْأَثَرِ»، وَعَدَّهُ في أولئك الْفَاهِمِينَ: الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ مُسَلِّمِ الْحَنْبَلِيِّ، وَقَدْ تُوْفِيَ في الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ٧٢٦هـ. وَعَدَّهُ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ: عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاضِي الْقَضَاةِ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ في كِتَابِهِ (الْمَعْجَمُ الْمُخْتَصُّ): أَنَّ أَبَاهُ قَدِمَ بِهِ إِلَى دِمَشْقَ طَالِبَ حَدِيثٍ فِي سَنَةِ ٧٢٥هـ<sup>(٢)</sup>. فِينْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَارِيخُ تَأْلِيفِ الرِّسَالَةِ بَيْنَ سَنَةِ ٧٢٥هـ وَسَنَةِ ٧٢٦هـ، وَعَلَى أَكْثَرِ التَّقْدِيرِ بَيْنَ سَنَةِ ٧٢٠هـ وَسَنَةِ ٧٢٦هـ.

وكذا يمكن تقديرُ تاريخِ إعادةِ كتابَةِ هذه الرسالة، (في إصدارِ ثانٍ) مِنَ التَّغْيِيرِ الْحَاصِلِ فِي مَتْنِهَا، مِمَّا لَا يَتَأْتِي مَعَهُ الْقَوْلُ: إِنَّهُ خَطَأُ نَاسِخٍ، فَقَدْ حَذَفَ الْمُؤَلِّفُ اسْمَيْنِ قَدْ تُوْفِيََا مِنْ مُحَدَّثِي «الْوَقْتِ»، هُمَا: الْقَاضِي الْمَذْكُورُ شَمْسُ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَيُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ لَيْسَ بِصَنْيَعِ النَّاسِخِ، التَّرَحُّمُ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ

(١) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية (العقود الدرية) لابن عبد الهادي ص ٧٣، ٢٥٨. قلت: تأمل هذه الكلمات من رسالة «شخصية» أرسلها أحد علماء العراق إلى بعض تلاميذ ابن تيمية، في الشام، بعد سنة ٧٢٨هـ، ونقلها ابن عبد الهادي في الكتاب نفسه: «... لَمَّا سَبَقَ الْوَعْدُ الْكَرِيمُ مِنْكُمْ، بِإِنْفَازِ فِهْرَسْتِ مُصَنَّفَاتِ الشَّيْخِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَتَأَخَّرَ ذَلِكَ عَنِّي، اعْتَقَدْتُ أَنَّ الْإِضْرَابَ عَنْ ذَلِكَ نَوْعٌ نَقِيَّةٌ، أَوْ لَعُذْرٌ لَا يَسْعُنِي السُّؤَالُ عَنْهُ، فَسَكْتُ عَنْ الطَّلَبِ خَشْيَةَ أَنْ يَلْحَقَ أَحَدًا ضَرَرٌ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، بِسَبَبِي...». ص ٤٠٠.

(٢) المعجم المختص، للذهبي ص ١٤٧.

الذين ذُكِرَ فيهما بعدُ، فإذا أثبتَّ هذا معرفةً، ثُمَّ وَجَدْتَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ لَحَقَهُمَا إلى رحمة الله تعالى، مِنَ المتَّبِقِّينَ، المذكورين في هذه النسخة، هو صَدِيقُ المؤلفِ ورفيقه المحدثُ فخرُ الدين ابنِ الفخر، الذي تُوفي في شهر ذي القعدة من سنة ٧٣٢هـ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ تاريخَ إعادةِ كتابَتِها هو بعدَ العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، وهو تاريخُ وفاةِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيمية، وَقَبْلَ ذي القعدة -أيضاً- من سنة ٧٣٢هـ وهو تاريخُ وفاةِ ابنِ الفخر، فتلكَ سنواتٌ أربعٌ قد عَدَلَ الذهبيُّ في بعضِ أيامِها مِنْ رسالَتِهِ هذه ما عَدَلَ، وأضافَ وحذفَ، وذلكَ أمرٌ عُرِفَ به الحافظُ في بعضِ تصانيفه، مثْلُ تاريخِ الإسلامِ، ومُعْجَمِ شيوخه، والمعْجَمِ المختَصِّ بالمحدثين.<sup>(١)</sup>

### الطَّبْعُ السَّابِقُ لِلرَّسَالَةِ:

الطبعة الأولى: قَبْلَ أَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِينَ عَاماً، وَقَامَ عَلَى إِخْرَاجِهَا: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْكُوَيْتِيُّ الْجَزْكِسِيُّ الْحَنْفِيُّ (ت ١٣٧١هـ)، «وهو حَنْفِيٌّ جَلْدٌ ما أَنْصَفَ الذَّهَبِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنْ كِتَابَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>، وَكَانَتْ تَعْلِيقَاتُهُ عَلَى الرَّسَالَةِ مِنْ نَتَاجِ تَعْصُّبِهِ لِإِفْكَرِهِ الطَّالِحِ، وَقَدْ عُنِيَ بِنَشْرِهَا، يَوْمَ كَانَ مَخْدُوعاً بِهِ: حَسَامُ الدِّينِ الْقُدْسِيُّ (ت ١٤٠٠هـ)، بِمَطْبَعَةِ: «التَّوْفِيقِ»، فِي دِمَشْقِ سَنَةِ ١٣٤٧هـ، وَقَدْ نَشَرَهَا مَعَ نَصِيحَةِ: الْقَاضِي مُحَمَّدِ ابْنِ السَّرَّاجِ الدَّمَشْقِيِّ (ت ٧٤٧هـ)، لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، تِلْكَ «النَّصِيحَةُ السَّرَّاجِيَّةُ» الَّتِي ظَنَنْتُ دَهْرًا أَنَّهَا لِلذَّهَبِيِّ. وَلَمْ يُذَكَّرْ فِي هَذِهِ الطَّبْعَةِ «مَعْلُومَةٌ» عَنِ النُّسخَةِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ فِي

(١) وَقَدْ يُعْقَبُ عَدَمُ الْعِلْمِ بِذَلِكَ إِلَى خَطَأِ أَفْكَوْهَةٍ كَمَا وَقَعَ مِنْ مُحَقِّقٍ فَاضِلٍ نَقَلَ تَارِيخَ وَفَاةِ تَقِي

الدِّينِ السُّبْكِيِّ، وَهُوَ سَنَةُ ٧٥٦هـ مِنْ مَعْجَمِ شَيْخِ الذَّهَبِيِّ، قَائِلاً: (قَالَ الذَّهَبِيُّ...) وَقَدْ تُوْفِيَ

الذَّهَبِيُّ قَبْلَهُ بِسَنَوَاتٍ، هَذَا مَعَ تَنْبِيهِ مُحَقِّقِ الْمَعْجَمِ إِلَى أَنَّهَا زِيَادَةٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ غَيْرِ الْمُؤَلِّفِ!

(٢) قَالَه الدُّكْتُورُ: بَشَّارُ عَوَادٍ مَعْرُوفٍ، فِي كِتَابِهِ: الذَّهَبِيُّ وَمَنْهَجُهُ فِي كِتَابِهِ تَارِيخَ الْإِسْلَامِ ص ٣٧.

نَشْرُهَا، وإنما كُتِبَ على غلاف الكتاب بعد العنوان واسم المؤلف، وعنوان النصيحة المذكورة عبارة موهمة، وهي: «عن نسخة الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري»، وإنما نسخة الكوثري المعنيَّة هي نسخة «النصيحة». ثُمَّ قرأتُ في «مقالاته» قوله: «والزغل من المخطوطات المحفوظة في التيمورية»<sup>(١)</sup>، فعرفتُ أنه اعتمدها، وأنها نسخة من الإصدار الأول للرسالة.

والثانية: طبعةٌ حققها مُحِبُّ التراث السَّلَفِي، الشيخ: محمد بن ناصر العجمي، ونشرتها «مكتبة الصحو الإسلامية» في الكويت، وليس بها تاريخ طبع واضح، غير أن تاريخ انتهائه من تحقيقها هو سنة ١٤٠٤هـ. وأجمل رأيي في الطبعتين بالقول: إِنَّ حَذْفًا لتعليقات الأولى، وإلحاقاً بصورة عمل الثانية بها، يُتَّبَعُ عملاً في "التحقيق" أمثلاً.

### عنوان الرسالة:

سَمَّاها الحافظُ ابنُ حجر العسقلانيُّ: كتاب بيان زغل العلم. وأما السخاويُّ وابنُ طولون، فنقلا منها دون أن يُسمِّيَاها، ويأتي العنوان في بعض النُّسخ: «زَغَلُ العلم» بغير كلمة «بيان»، وحَذَفَها بعضُ النُّسخِ وزاد كلمة: «الطَّلَب»، فكتبَ: «هذه رسالة تُسمَّى: زَغَلُ العلم والطَّلَب»، ويبدو أنَّ نسخة التيمورية - التي اعتمدها الكوثريُّ - تحمل هذا العنوان: «بيان زَغَلُ العلم والطَّلَب»، وأمَّا ما جاء في نسخة (برلين)، من عبارة: «في كلِّ طائفة من علماء الأمة ما يُذمُّ ويُعاب»<sup>(٢)</sup>، فما هو باسم آخر للرسالة، إنما

(١) مقالات الكوثري. ص ٣١٠.

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة برلين، المجلد الخامس ص ٩١. وقد قدَّم وأخَّر المستشرق الذي أعدَّ الفهرس في كلماتها فكتبها هكذا: «فيما يذم ويعاب في كل طائفة من علماء الأمة». وتبعه في ذلك من لم يرَ النسخة.

هو توضيحٌ من ناسخها العالم بدافعٍ من حُبِّ الشرحِ عنده، اجتزأه من كلام المؤلف، وإلا فقد كُتِبَ وسط الصفحة عنوانها المختصر: «زغل العلم، للذهبي الشافعي». وقد رأيتُ أن أُثبِتَ ما أثبتَ الحافظُ ابنُ حجرٍ عنواناً لها: «بيانُ زغل العلم».

### النسخُ الخطيَّةُ للرسالة:

لم يُعَدَّ لِسِتِّ نُسخٍ حَصَلَتْ عليها، من هذه الرسالة، ولا لسابعة، لم أتحصلَ عليها - أعني التيمورية - كبيرُ شأنٍ بعد أن ظفِرْتُ بالتي يُمكنُ عدُّها أمَّ النسخ، وهي نسخةُ (برلين)، فاتخذتها أصلاً في تحقيقِ الرسالة، وكنتُ قد تأملتُ سِتَّ النسخِ قَبْلُ، فرأيتُ أنَّ أجدرَها بالتَّقدِّمةِ: نسخة مكتبة الجامع الكبير في (صنعاء)، ولم أخترَ بقيَّةَ النسخ، وإن كنت قد أفدتُ من بعضها. وإليك السبب:

### النسخة الأصل:

نسخةُ مكتبة مدينة (برلين) في ألمانيا، ورقمها (٥٥٧٠)، وخطُّها من الخطوط الفارسية (شِكْسْتَة تعليق)، وهي نسخةٌ جدُّ مهمة، عَرَفَ العارفون مكانَها، وما عَرَفُوا مكانَها، وقد ساعدني في الحصول على مصوَّرتِها المؤرِّخُ التركيُّ الكبيرُ: أحمدُ يَسَارُ أوجاق، أستاذُ التاريخ بجامعة: (حاجتِ تَبَه) في (أنقرة)، فأحسن الله إليه.

وما خُطِرَتْها من قِدَمِها، فهي منسوخة سنة ١٠٩٦هـ، بل لأنها منقولة عن نسخة الحافظِ خليل بن كَيْكَلدي العلائي، تلميذِ المؤلف، المصرَّح فيها أنه نَقَلَهَا من خطِّ الذهبي، وأنه قرأها عليه. ولأنَّ ناسخها ذو علم ومعرفة، له تصنيفٌ في العروض، ومؤلَّفٌ في بعض أحكام الفقه، واسمه: خليل بن

وَلِي بن جعفر الحنفي، وكان حَيًّا سنة ١١٢٥ هـ. (١)

وجديداً ما كشفته بهذه النسخة، بعد المقارنة بينها، وبين ما نقله ابن طولون عن نسخة الذهبي، وما وقفت عليه من النسخ الست، أَنَّ لهذه الرسالة إصداراً أَوَّلَ (هو الذي رآه ابن طولون، والسخاوي، وصديق بن حسن القنوجي، والكوثري، وسائر النساخ، ولا يمكن معرفة ذلك عند ابن حجر، والصفي البخاري، إذ لم يُنقل نصاً)، وإصداراً آخر، متأخراً عنه، هو الذي رآه خليل الحنفي، ونقل عنه نسخته، إذ ليست الفروق بينهما من الضرب الذي يُرمى باقترافه جُهل النسخة بله علماءهم، ولذلك فإن هذه النسخة - في الحقيقة - نسخة وحيدة.

### منهج التحقيق:

أما وقد بُتت بنسخة (برلين) أَنَّ الذهبي كان قد أعاد النظر في هذه الرسالة، بعد سنوات قليلة، من تأليفها، وأنه رَضِيَ بصورة جديدة لها بعد الإضافة والحذف، والتعديل والتصحيح، فقد وجب اتخاذها أصلاً وحيداً، فأُثبتت ألفاظها في المتن، وجعلت الحاشية موضعاً لمتن الإصدار الأول

(١) لم أجد له ترجمة ذات بال، واسم كتابه: المورد الصافي بشرح الكافي في علمي العروض والقوافي، و المقصد التام في معرفة أحكام الحمام، وقد رأيت نسخة من الكتاب الأول موجودة في مكتبة (برنستون)، وهي مبذولة في «بَحْرِ النَّتِّ» لمن يريد، وفي آخرها قيدُ مقابلة بخط المؤلف، وتاريخه: الثلاثاء السابع... الآخر سنة ١١٢٥ هـ، كما قرأت في موقع من مواقع (النَّتِّ) معلومة لم أتحققها، وهي أنه كان من أهل القدس، وسكن دمشق، وأنه شاعر صوفي على مذهب أهل الوحدة. وأنبه هنا إلى وهم الباشا إسماعيل البغدادى في تاريخ وفاته، فقد قال مرة: إنه مات سنة ١١٠٦ هـ، وأخرى إنه مات سنة ١١٠٨ هـ. انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٤/ ٦٠٥، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادى ٥/ ٣٥٤. وهو مصدر الزركلي في الأعلام ٢/ ٣٢٣

لها، أذكره إذا ذكرته لبيان ما كان عليه المتن سابقاً.

وقد ضبطت عباراتها بالشكل، وعلقت على مواضع من كلام الذهبي، ما بين تفسير كلمة، وتخريج حديث أو كلام مأثور، واعتراض على قول المؤلف، واكتفيت من الترجمة للأعلام الذين ذكروا بوضع تواريخ وفياتهم عند أسمائهم بين معكوفتين.







بسم الله الرحمن الرحيم وبه نقتضي  
 قال الشيخ أبو سعيد خليل بن العسلائي نقلت من خطي أبي عبد الله  
 محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بعد أن قرأته عليه قال بعد حمد الله  
 والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم وفقك الله أن  
 في كل طائفة من علماء الله ما يذم ويحب فينبغي أن يجنب  
 القراء

فالمرء المجوده فيهم تنفع زائد وتحرر يودى إلى أن الجود القاري  
 يتبعه مهتة مصروفة المراجعة الحروف والتجاعة في تجويدا حتى  
 يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله ويصرفه عن خشوع  
 في السلاوة وبجلبه قوس النفس مژذو ربا لمن يحفظ القرآن  
 فينظر إليهم بعين الحقت وبأن المسلمين يحبون وبأن  
 القراء لا يحفظون الأسواذ القراءات فليت شعري أنت ما ذا عرفت  
 وما ذا علمت أما علمك فغير صالح وأما قرائك فتشبه عريضة عن خشوع  
 والحزن والخوف فاسدته يوفقك ويسرك رشك وبوقطك  
 من رقدة الجهل والريا وصدهم قرائنهم والتخطط وهو لاء  
 في الجلاء من قرائنهم بطلب خوف قد يستقيم به فقد رايت من يطرب  
 ويكلى ويقرا مصححا ثم ورايت من إذا قرأ قلبه القلوب وأبرم القلوب  
 وبذلك كلام الله واسواهم حالاً الجائز فيه وأما القراء بالروايات  
 وأجمع فابعدت عن الخشوع وأقدمت على السلاوة بما يحرج  
 عن

فمن اتقاه الله سبحانه وتعالى فله نصيب من العلم والبر والهدى  
والإيمان والوفاء والندرس ولزم الأمانة والصدق فمنه فهذا الجود ما جود  
بنيتة وقد راينا جماعة على نحو ذلك نعم وراينا ذباها عليهم السباب  
وقاسق الكسبة اليه المنتهى  
الشروط

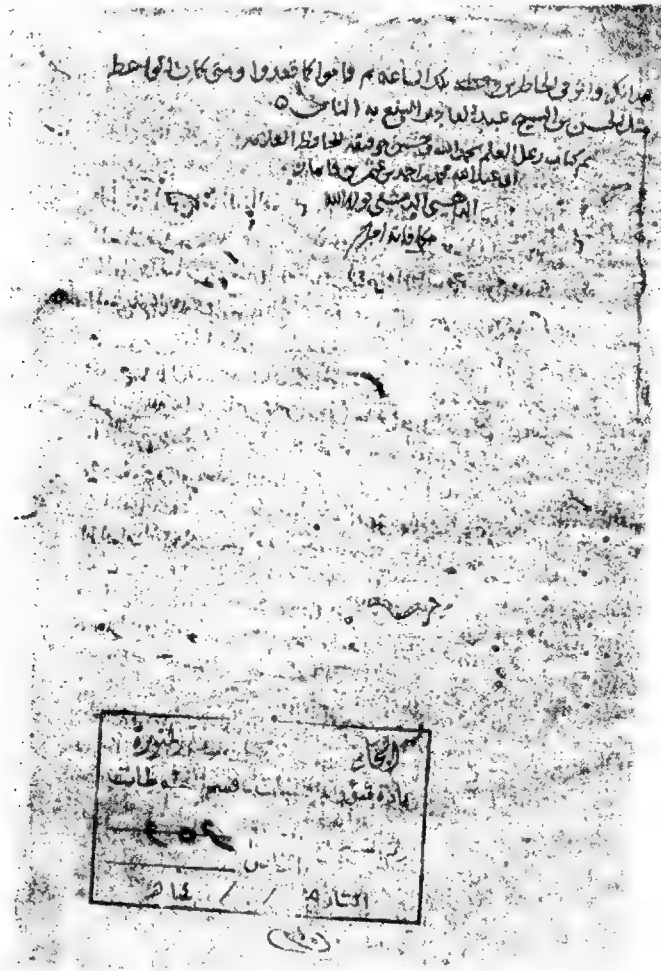
علم حسن شرعي من برع فيه ولزم العدالة والورع عاش مجيدا ومات  
مفتيدا ومن برع فيه باحس والمكر والدها فلا بد له من غنى في الدنيا  
ومقتضى الآخر قل متاع الدنيا قليل والآخره خير لمن اتقى الله  
الوعظ

فمن بذلته يحتاج الى ما في ركة جديدة في العلم ويستدعي معرفه حسنة  
بالنفس والآخر من عظماء الفقراء والزهاد والسلف وعدة التقوى  
والزهادة فاذا رايت الواعظ راها قليل الدين فاعلم ان وعظه  
لا يجاوز الاسماع فلم من واعظ مفضو قد ابلت واثرة الخافري  
لكن ان علم فاقوا ما وعدوا وامتز ما في الواعظ لما كسر البصر  
والشيخ عبد القادر رانقع الناس به فت لا بدته علما ما فعا  
وسفره ش ملا اسر ثم عا يد محمدا الحقير طليل وان صفر  
الحقة لحسن حلين في شوال في شهر ١٠٩٤ هـ

# النسخة الأصل للإصدار الأول:

نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، من مصورتها في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ورقمها: ٢٥٤. وليس بها اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ غير أن خطها من خطوط القرن الثامن. ولست أثبت منها شيئاً في المتن، بل أشير إلى ما اختلفت به عن الإصدار الثاني في الحاشية، ورمزت لها بحرف (ص).





### ونُسَخُ الإصدار الأول الأخرى:

- نسخة المكتبة «المحمودية» في المدينة المنورة، برقم: ٢٦٤. وهي في أربع ورقات، وتاريخها سنة ١٢٢٥ هـ كتبها محمد هاشم السندي.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب زغل العلم للشيخ الامام محمد بن احمد بن عثمان الذهبي الدمشقي قال رحمه الله تعالى  
اعلم ان في كل طائفة من علماء الامة ما يندم ويعاب فتجنبوا هذه المجرورة فيهم منقطع زائد  
وتحريروا زائد يودي الى ان المجرود القاري يتقصر صرف الهممة الى مراعاة الجوف والتسطيع في

الدين فاعلم ان وعظ لا يتجوز الا لسمع وكلم من واخط منقوه قد انبى واشربى كما قرن  
تلك الساعة ثم قاموا كما قعدوا ومتى كان الواخط مثل الحسن والشيخ عبد القادر اتفق  
به الناس وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم  
حرفى ياراج ٢٥ شهر شعبان

١٢٢٥  
كتب الفقير الحقير  
محمد شمس  
الزبيدي  
غفر له

- نسخة وزارة الأوقاف الكويتية، برقم: ٣١٧. وهي أربع ورقات،  
وتاريخها سنة ١٢٧٤هـ وكتبها علي بن عبد الله بن إبراهيم...

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين  
الحمد لله الذي جعل العلم منارة للهدى ولباب الحكمة  
فما يراهم من عباده الفقراء المحجودين منهم طبع زايد  
ان الحروف الفارسي يبقى مصروف الحروف الفارسي  
ذلك بل يعانى كتابه من الحروف الفارسي  
من وعظ منقوه قد انبى واشربى كما قرن  
كان الواخط مثل الحسن والشيخ عبد القادر اتفق  
به الناس وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم  
حرفى ياراج ٢٥ شهر شعبان

- نسخة جامعة الملك سعود بالرياض، برقم: ٢٣٠٨.

بسم الله الرحمن الرحيم  
قال الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي اعلم ان في كل طائفة  
من علماء الأمة ما يذم ويباع فتجنبه القراء المجودة فيهم طبع زايد  
وتحور يزيد يودي الى ان المجود الفارسي يبقى مصروف المهمة المراجعة  
الحروف والطبع في تجويدها بحيث يشغله ذلك عن تدبر معاني كتاب الله

العقار والرهاد وعدته التقوى والزهادة في هوى الدنيا والآخرة  
الدين فاعلم ان وعظه لا يتجاوز الامام وكلمته من واعظ معقود قد انكسرت  
والثاني الخاص من تلك الساعة ثم قاموا كما تقدموا ومتى كان الواظ مثل الحسن  
والشيخ عبد القادر رحمهما الله تعالى انتفع به الناس ثم كتب الرسالة  
ومسلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام وسلم

- نسخة مكتبة الأحقاف باليمن، وتاريخها سنة: ١٠٦٨هـ. عن  
مصورتها في معهد المخطوطات بالكويت، برقم: ١٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم  
اعلم ان في كل طائفة من علماء الامة ما يدور وجبات فيجب  
فيهم نفع اند وتحرير من الديني الى ان الجود القاري في مصروف الصحة  
الى مراعات الحروف والتطعيم في جودها بحيث يشعل ذلك عن تدبير معاني كتاب الله  
تعالى ويصرفه عن الخوض في التلاوة لله وتعليق قوى النص فذكر الحفظ كتاب الله

- نسخة مكتبة: «تشتريتي» في (دبلن) بإيرلندا، وليس بها تاريخ  
ولا اسم ناسخ، ورقمها: ٤٥٥١/٢. عن مصورتها في مركز الملك فيصل  
للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض.

هذه رسالة تسمى على العاد والطلب تاليف الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابي عبد الله محمد بن محمد  
ابن عثمان الذهبي عمده الله تعالى رحمه الله وسكنه في حياته امير المؤمنين لسمو الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله والام على عباد الله الذين اصطفى اسم الله في طائفة من علماء الامة ما يدور وجبات فيجب  
فيهم نفع اند وتحرير من الديني الى ان الجود القاري في مصروف الصحة  
الى مراعات الحروف والتطعيم في جودها بحيث يشعل ذلك عن تدبير معاني كتاب الله  
تعالى ويصرفه عن الخوض في التلاوة لله وتعليق قوى النص فذكر الحفظ كتاب الله

## دراسة

في الكلمات العائرة التي وُصفَ بها  
شيخ الإسلام ابنُ تيمية في الرسالة





«فَرَحِمَ اللَّهُ امراً... وَسَعَ نِطاقَ المَعْدَرَةِ!»

لَعَلَّ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَلْفُتُ انْتِبَاهَ الدارسين لحياة الإمام الذهبي ومؤلفاته<sup>(١)</sup>، هو ما أوردَه في هذه الرسالة؛ مِنْ عَيْبِهِ رَجُلًا أَفَاضَ فِي ذِكْرِ محاسنِهِ في كتبه المشتهرة، حتَّى إِنَّه قال عنه: «لو حُلِفْتُ بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقَامِ لَحَلَفْتُ: إِنِّي ما رأيتُ بعيني مثله». وَمَعَ تَسْلِيمِ المُنْصِفِينَ مِنْهُمْ بأنَّ موقِفَ أبي عبد الله الذهبي من أبي العباس ابنِ تَيْمِيَّةَ - رحمهما الله تعالى - هو موقِفُ ذاك الصَّنْفِ الوَسْطِيِّ، الذين ذَكَرَ وَرَعَهُم وَتَقَوَّاهُمْ بقوله: «ولا اعتبارَ بَمَذْحِ خَوَاصِّهِ والغُلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ الحُبَّ يَحْمِلُهُمْ على تَغْطِيَةِ هَنَاتِهِ، بَلْ قد يَعُدُّونَهَا محاسنَ. وإنما العِبرَةُ بأهلِ الوَرَعِ والتَّقْوَى مِنَ الطَّرَفَيْنِ، الذين يتكَلَّمُونَ بالقِسْطِ، وَيَقُومُونَ لله، ولو على أَنفُسِهِمْ وآبائِهِمْ» فإنهم يَتَوَقَّفُونَ في قَبُولِ اتِّهامِهِ المَعِيبِ لشيخ الإسلام، وَلِسَانُ حالِهِم يقول: «ما عَدَا مِمَّا بَدَأَ؟»<sup>(٢)</sup>، وعلى الافتراضِ البعيدِ جدًّا لو كان ما قال كما قال، ما كان

(١) وَرَبِّمَا دَفَعَ بَعْضُ طَلِبَةِ العِلْمِ لِقَرْفِهِ بالتناقض، كما فعل الشيخُ صِدِّيقُ بنِ حَسَنِ خان، الذي قال: «فَأَنْتَ تَرَى كَلَامَهُ (يعني: الحافظُ الذهبيُّ) في الشيخ (يعني: شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ)، فَرَنُوهُ بِعَقْلِكَ، فَإِنَّهُ ظَاهِرُ التَّنَاقُضِ، واللهُ أَعْلَمُ بالسرائر». انظر حاشية كتاب: القول الجلي في ترجمة ابن تَيْمِيَّةَ الحنبلي، من طبعة دار الكتب «العلمية» ببيروت ص ٣٧. وحسوها أخطاءً مطبعية.

(٢) أي: ما مَنَعَكَ مما ظَهَرَ لك أَوَّلًا؟ مجمع الأمثال ٣/٣٥٧.

أولاهما بقول الشاعر:

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ<sup>(١)</sup>

أَكْبَرُ، وَعُجْبُ، وَحُبُّ مَشِيخَةٍ، وَفُتْمَةٌ مَعَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ؟!

يَحْسُنُ أَنْ أَذْكُرَكَ - هَاهُنَا - بَبَعْضِ مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ مِنْ فَضَائِلِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، الَّتِي لَا يَتَرَاوَعُ عَنْهَا إِلَّا الْمَتَذَذُّ الْمُتَنَاقِضُ الْحِيرَانُ، وَسَتَرَى أَنَّ الذَّهَبِيَّ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى - لَمْ يَكُنْ بِصَاحِبِ خَلَّةٍ مِنْ تِلْكَ الْخِلَالِ.

قَالَ - عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - فِي كِتَابِهِ: «ذَيْلُ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ»: «...وَقَرَأَ بِنَفْسِهِ عَلَى جَمَاعَةٍ وَانْتَحَبَ، وَنَسَخَ عِدَّةَ أَجْزَاءَ، وَ«سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ»، وَنَظَرَ فِي الرِّجَالِ وَالْعِلَالِ، وَصَارَ مِنْ أُمَّةِ النَّقْدِ، وَمِنْ عُلَمَاءِ الْأَثَرِ، مَعَ التَّدِينِ وَالنَّبَالَةِ، وَالذِّكْرِ، وَالصِّيَانَةِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْفَقْهِ وَدَقَائِقِهِ، وَقَوَاعِدِهِ وَحُجَجِهِ، وَالْإِجْمَاعِ وَالْاِخْتِلَافِ؛ حَتَّى كَانَ يُقْضَى مِنْهُ الْعَجَبُ إِذَا ذَكَرَ مَسْأَلَةً مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ، ثُمَّ يَسْتَدِلُّ وَيُرْجِّحُ وَيَجْتَهِدُ، وَحَقٌّ لَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ شُرُوطَ الْاجْتِهَادِ كَانَتْ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ؛ فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ انْتِزَاعًا لِلآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يُورِدُهَا مِنْهُ، وَلَا أَشَدَّ اسْتِحْضَارًا لِمُتَوْنِ الْأَحَادِيثِ، وَعَزَوْهَا إِلَى الصَّحِيحِ، أَوْ إِلَى الْمُسْنَدِ، أَوْ إِلَى السُّنَنِ مِنْهُ؛ كَأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَنَ نُصِبَ عَلَيْهِ، وَعَلَى

(١) لَمْ أَقِفْ عَلَى قَائِلِهِ، وَقَدْ وَرَدَ غَيْرُ مَنْسُوبٍ فِي كِتَابِ: لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ (تَفْسِيرُ الْقَشِيرِيِّ)، لِأَبِي الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيِّ (ت ٤٦٥هـ) ٣٤/١، وَفِي كِتَابِ: الْمُسْتَفَادُ مِنْ ذَيْلِ تَارِيخِ بَغْدَادَ، لِابْنِ الدِّمِيَّاطِيِّ (ت ٧٤٩هـ)، ١٩/٦-٧، ضَمَّنَ آيَاتِ لَأَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ زَيْدِ التَّكْرِيْتِيِّ (ت ٥٩٩هـ)، وَفِي دِيَوَانِ ابْنِ ثُبَاتَةَ (ت ٧٦٧هـ) ص ١٢٢٦

طَرَفِ لِسَانِهِ، بِعِبَارَةٍ رَشِيقَةٍ، وَعَيْنٍ مَفْتُوحَةٍ، وَإِفْحَامٍ لِّلْمُخَالَفِ. وَكَانَ آيَةً  
مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّفْسِيرِ، وَالتَّوَسُّعِ فِيهِ، لَعَلَّهُ يَبْقَى فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ  
الْمَجْلِسَ وَالْمَجْلِسَيْنِ.<sup>(١)</sup>

وَأَمَّا أَصُولُ الدِّيَانَةِ، وَمَعْرِفَتُهَا، وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ الْخَوَارِجِ، وَالرُّوَافِضِ  
وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَأَنْوَاعِ الْمُبْتَدِعَةِ؛ فَكَانَ لَا يُشَقُّ فِيهِ غُبَارُهُ، وَلَا يُلْحَقُ شَأُوهُ.

هَذَا مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي لَمْ أَشَاهِدْ مِثْلَهُ قَطُّ، وَالشَّجَاعَةِ  
الْمُفْرِطَةِ، الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ، وَالْفِرَاقِ عَنْ مَلَاذِ النَّفْسِ، مِنَ اللَّبَاسِ  
الْجَمِيلِ، وَالْمَأْكَلِ الطَّيِّبِ، وَالرَّاحَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

وَلَقَدْ سَارَتْ بِتَصَانِيفِهِ الرُّكْبَانُ، فِي فَنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ أَلْوَانٍ، لَعَلَّ تَوَالِيفَهُ  
وَفَتَاوِيهِ فِي الْأَصُولِ، وَالْفُرُوعِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالْإِخْلَاصِ،  
وغير ذلك، تَبْلُغُ ثَلَاثَ مِئَةِ مَجْلَدٍ، لَا بَلَّ أَكْثَرُ.

وَكَانَ قَوَّالًا بِالْحَقِّ، نَهَاءً عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ، ذَا  
سَطْوَةٍ وَإِقْدَامٍ، وَعَدَمِ مُدَارَاةِ الْأَغْيَارِ.

وَمَنْ خَالَطَهُ وَعَرَفَهُ؛ قَدْ يَنْسَبُنِي إِلَى التَّقْصِيرِ فِي وَصْفِهِ، وَمَنْ نَابَذَهُ  
وخالَفَهُ؛ يَنْسَبُنِي إِلَى التَّغَالِي فِيهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

مَعَ أَنِّي لَا أَعْتَقِدُ فِيهِ الْعِصْمَةَ، كَلَّا! فَإِنَّهُ مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِ، وَفَرْطِ شَجَاعَتِهِ،  
وَسَيْلَانِ ذِهْنِهِ، وَتَعْظِيمِهِ لِحُرْمَاتِ الدِّينِ، بَشَرٌ مِنَ الْبَشَرِ تَعْتَرِيهِ حِدَّةٌ فِي  
الْبَحْثِ، وَغَضَبٌ وَشَطَفٌ لِلْخَصْمِ؛ تَزْرَعُ لَهُ عِدَاوَةً فِي النُّفُوسِ، وَتُفَوِّرُ عَنْهُ.

(١) قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَرْجَمَةِ أَبِي عَثْمَانَ الصَّابُونِيِّ (ت ٤٤٩هـ): «هَكَذَا كَانَ - وَاللَّهِ - شَيْخُنَا ابْنُ  
تَيْمِيَّةَ، بَقِيَ أَزِيدٌ مِنْ سَنَةٍ يُفْسَرُ فِي سُورَةِ نُوحٍ، وَكَانَ بَحْرًا لَا تَكْذُرُهُ الدَّلَائِلُ، رَحِمَهُ اللَّهُ» تَارِيخُ  
الْإِسْلَامِ ٧٣٦/٩.

وإلا - والله - فَلَوْ لَا طَفَ الْخُصُومَ، وَرَفَقَ بِهِمْ، وَلَزِمَ الْمَجَامِلَةَ وَحُسْنَ  
المكالمَةِ؛ لَكَانَ كَلِمَةَ إِجْمَاعٍ؛ فَإِنَّ كِبَارَهُمْ وَأَئِمَّتَهُمْ خَاضِعُونَ لِعِلْمِهِ وَفَقْهِهِ،  
مُعْتَرِفُونَ بِشَفُوفِهِ وَذِكَاثِهِ، مُقَرَّرُونَ بِنُدُورِ خَطِّهِ.

لَسْتُ أَعْنِي بَعْضَ الْعُلَمَاءِ؛ الَّذِينَ شِعَارُهُمْ وَهْجِيْرَاهُمْ الْاسْتِخْفَافُ بِهِ،  
وَالْإِزْدِرَاءُ بِفَضْلِهِ، وَالْمَقْتُ لَهُ، حَتَّى اسْتَجْهَلُوهُ وَكَفَرُوهُ وَنَالُوا مِنْهُ، مِنْ غَيْرِ  
أَنْ يَنْظُرُوا فِي تَصَانِيفِهِ، وَلَا فَهَمُوا كَلَامَهُ، وَلَا لَهُمْ حَظٌّ تَامٌّ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي  
الْمَعَارِفِ، وَالْعَالِمُ مِنْهُمْ قَدْ يُنْصِفُهُ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِعِلْمِهِ. وَطَرِيقُ الْعَقْلِ السُّكُوتُ  
عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الْأَقْرَانِ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

وَأَنَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَى قَدْرِهِ كَلِمِي، أَوْ أَنْ يُوضَّحَ نَبَأُهُ قَلَمِي؛ فَأَصْحَابُهُ  
وَأَعْدَاؤُهُ خَاضِعُونَ لِعِلْمِهِ، مُقَرَّرُونَ بِسُرْعَةِ فَهْمِهِ، وَأَنَّهُ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَكَثْرُ  
لَا نَظِيرَ لَهُ، وَأَنْ جُودَهُ حَاتِمِي، وَشَجَاعَتُهُ خَالِدِيَّةٌ.

وَلَكِنْ قَدْ يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَخْلَاقًا وَأَفْعَالًا؛ مُنْصِفُهُمْ فِيهَا مَاجُورٌ،  
وَمُقْتَصِدُهُمْ فِيهَا مَعْدُورٌ، وَظَالِمُهُمْ فِيهَا مَازُورٌ (إِقْرَأْ: مَوْزُورٌ)، وَغَالِيَهُمْ  
مَغْرُورٌ، وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ، وَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، وَالْكَمَالُ  
لِلرُّسُلِ، وَالْحُجَّةُ فِي الْإِجْمَاعِ. فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَكَلَّمَ فِي الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِ، أَوْ  
صَمَتَ بِحِلْمِهِ، وَأَمَعَنَ فِي مَضَائِقِ أَقَاوِيلِهِمْ بِتَوَدَّةٍ وَفَهْمٍ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ،  
وَوَسَّعَ نِطَاقَ الْمَعْدِرَةِ، وَإِلَّا؛ فَهَوَ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي.

وَإِنْ أَنْتَ عَذَرْتَ كِبَارَ الْأَئِمَّةِ فِي مُعْضَلَاتِهِمْ، وَلَا تَعْذُرُ ابْنَ تَيْمِيَّةَ فِي  
مُفْرَدَاتِهِ؛ فَقَدْ أَقْرَرْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْهَوَى، وَعَدَمَ الْإِنْصَافِ!

وَإِنْ قُلْتَ: لَا أَعْذُرُهُ، لِأَنَّهُ كَافِرٌ، عَدُوٌّ لِلَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ! قَالَ لَكَ خَلْقُ  
مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينَ: مَا عَلِمْنَاهُ - وَاللَّهِ - إِلَّا مُؤْمِنًا مُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ،

والوضوء، وصوم رمضان، مُعْظَمًا للشريعة ظاهراً وباطناً.

لا يُؤْتَى مِنْ سُوءِ فَهْمٍ، بَلْ لَهُ الذِّكَاؤُ الْمَفْرِطُ، وَلَا مِنْ قِلَّةِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ بَحْرُ زَخَارٍ، بِصِيرٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَدِيمُ النَّظِيرِ فِي ذَلِكَ، وَلَا هُوَ بِمُتَلَاعِبٍ بِالَّذِينَ؛ فَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ؛ لَكَانَ أَسْرَعَ شَيْءٍ إِلَى مُدَاهَنَةِ خُصُومِهِ، وَمُوَافَقَتِهِمْ، وَمَنَافَقَتِهِمْ.

وَلَا هُوَ يَتَفَرَّدُ بِمَسَائِلَ بِالتَّشْهِي، وَلَا يُفْتِي بِمَا اتَّفَقَ، بَلْ مَسَائِلُهُ الْمَفْرَدَةُ يَحْتَجُّ لَهَا بِالْقُرْآنِ، أَوْ بِالْحَدِيثِ، أَوْ بِالْقِيَاسِ، وَيُبْرِهِنُهَا وَيُنَظِّرُ عَلَيْهَا، وَيَنْقُلُ فِيهَا الْخِلَافَ، وَيُطِيلُ الْبَحْثَ؛ أُسْوَةٌ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُئِمَّةِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِيهَا؛ فَلَهُ أَجْرُ الْمُجْتَهِدِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ.

وَإِنَّمَا الذَّمُّ وَالْمَقْتُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَفْتَى فِي مَسْأَلَةٍ بِالْهَوَى، وَلَمْ يُبِدْ حُجَّةً، وَرَجُلٍ تَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ، بِلَا خَمِيرَةٍ مِنْ عِلْمٍ، وَلَا تَوْسَعٍ فِي نَقْلِ؛ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْهَوَى وَالْجَهْلِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ لَا اعْتِبَارَ بِذَمِّ أَعْدَاءِ الْعَالِمِ؛ فَإِنَّ الْهَوَى وَالْغَضَبَ يَحْمِلُهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِنْصَافِ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ.

وَلَا اعْتِبَارَ بِمَدْحِ خَوَاصِّهِ وَالْغُلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ الْحُبَّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى تَغْطِيَةِ هَنَاتِهِ، بَلْ قَدْ يَعُدُّونَهَا مَحَاسِنَ. وَإِنَّمَا الْعِبْرَةُ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى مِنَ الطَّرَفَيْنِ، الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْقِسْطِ، وَيَقُومُونَ لِلَّهِ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَبَائِهِمْ.

فَهَذَا الرَّجُلُ لَا أَرْجُو عَلَى مَا قُلْتُهُ فِيهِ دُنْيَا، وَلَا مَالاً وَلَا جَاهاً، بَوَجْهِهِ أَصْلاً، مَعَ خِبْرَتِي التَّامَّةِ بِهِ، وَلَكِنْ لَا يَسْعُنِي فِي دِينِي، وَلَا عَقْلِي؛ أَنْ أَكْتُمَ مَحَاسِنَهُ، وَأَدْفِنَ فُضَائِلَهُ، وَأُبْرِزَ ذُنُوباً لَهُ مَغْفُورَةً، فِي سَعَةِ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى

وصَفَحِهِ، مغمورةً في بحرِ عِلْمِهِ وجُودِهِ، فاللهُ يَغْفِرُ له، وَيَرْضَى عنه، وَيَرْحَمُنَا إِذَا صِرْنَا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ.

مع أَنِّي مخالفٌ له في مسائلٍ أصْلِيَّةٍ وفرعِيَّةٍ، قَدْ أَبْدَيْتُ - آفَافاً - أَنَّ خَطَأَهُ فِيهَا مَغْفُورٌ، بَلْ قَدْ يُثْبِتُهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا عَلَى حُسْنِ قَصْدِهِ، وَبَذَلِ وَسْعِهِ، وَاللهُ الْمَوْعِدُ.

مَعَ أَنِّي قَدْ أُودِيتُ لِكَلَامِي فِيهِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأُضْدَادِهِ؛ فَحَسْبِيَ اللهُ! وَكَانَ الشَّيْخُ أَبِيضٌ، أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ، قَلِيلَ الشَّيْبِ، شَعْرُهُ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ، رَبْعَةً مِنَ الرِّجَالِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ، جَهْوَريَّ الصَّوْتِ، فَصِيحاً، سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ. تَعْتَرِيهِ حِدَّةٌ، ثُمَّ يَقْهَرُهَا بِحِلْمٍ وَصَفْحٍ.

وإِلَيْهِ كَانَ الْمُنْتَهَى فِي فَرْطِ الشَّجَاعَةِ، وَالسَّمَاحَةِ، وَقُوَّةِ الذِّكَاةِ. وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ فِي ابْتِهَالِهِ وَاسْتِغَاثَتِهِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَكَثْرَةِ تَوَجُّهِهِ.

وَقَدْ تَعَبْتُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ: فَأَنَا عِنْدَ مُحِبِّهِ مُقَصِّرٌ، وَعِنْدَ عَدُوِّهِ مُسْرِفٌ مُكْثِرٌ، كَلَّا وَاللهُ!

تُوفِيَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى مَعْتَقَلاً بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ، بِقَاعَةٍ بِهَا، بَعْدَ مَرَضٍ جَدٍّ أَيَّاماً، فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ، الْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ.

وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِجَامِعِ دِمَشْقَ عَقِيبَ الظَّهْرِ، وَامْتَلَأَ الْجَامِعُ بِالْمُصَلِّينَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، حَتَّى طَلَعَ النَّاسُ لِتَشْيِيعِهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَبْوَابِ الْبَلَدِ، وَأَقْلُ مَا قِيلَ فِي عَدَدِ مَنْ شَهِدَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَحُمِلَ عَلَى الرُّؤُوسِ إِلَى مَقَابِرِ الصُّوْفِيَّةِ، وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ [ت ٧٢٧هـ]،

رحمهما الله تعالى، وإيانا والمسلمين»<sup>(١)</sup>.

## أين أخطأ الحافظ الذهبي؟

يَتَضَحُّ لدارس المصادر التي تَحَدَّثُ عن الذهبي - وما كَتَبَهُ هو - أنه لمفارقة للتصوُّر الأشعريِّ لأصول الدين حوْلَهُ، واجتماعه مع ابن تيمية في الإيمان بعقيدة السلف الطيب، مع اختلافه معه - في الوقت نفسه - في أسلوب الدعوة إليها، أنه كان مُتَقَدِّمًا مِنَ الجهتين: الأشعرية من جهة، والسلفية من أصحاب ابن تيمية من الأخرى، وأنه لأجل الأولى - أعني خوف أذى متعصبة الأشاعرة - قد أخفى من مصنفاته العقدية أمثال: «كتاب العرش»<sup>(٢)</sup>، وَتَحَرَّرَ فلم يُظْهِر «كتبه التاريخية إلا لمن يَغْلُبُ على ظنه أنه لا يَنْقُلُ عنه ما يُعَابُ عليه»<sup>(٣)</sup>. وما أَظْهَرَهُ منها كان يَلْزُمُ الحذر فيها، فلا يُقَيِّدُ كُلَّ ما يستحقُّ التقييدَ من «معلومات» عن الشخصية المعاصرة التي تَرَجَّمَ لها، مع أهميتها في رأيه، كما فَعَلَ في ترجمة القاضي جلال الدين

(١) ذيل تاريخ الإسلام، ص ٣٢٤ - ٣٣٠.

(٢) المقفى الكبير، للمقرزي: ٢٢٤/٥.

(٣) قاله تلميذه المتعصب للأشاعرة: التاج السبكي في طبقاته: ١٤/٢، قلت: ومما يُصَدِّقُ كلامَ السبكيِّ ما نالَ الذهبيَّ من زميله في طلب العلم: ابن بَصْخَانَ الدمشقي (ت ٧٤٣هـ)، فقد وقعت نسخة كتاب: معرفة القراء الكبار، من تأليف الذهبي، بخطه، في يَدِ ابن بسخان، فلما قرأ ترجمة نفسه فيها رأى «معلومة» عنه لم تُعْجِبْهُ، فكتب فوق الترجمة بخطٍ ثخينٍ كلاماً أَقْذَعَ فيه في حق الذهبي، ونسبه للكذب، فلما رجعت النسخة إلى الذهبي كتب على النسخة: «أنا أعلم من أين أُتيت، فأني - والله - زُدُّته ما لا يستحقه، وأغضيتُ عن أمورٍ مكشوفة، فلنا وله وقفة بين يدي ربِّ العالمين»، قال ابن حجر العسقلاني: «...فانتقم الذهبيُّ منه بأن ترجمه في معجم شيوخه (لا يوجد ما نقله في المطبوعة) ووَصَفَ ما وقع إلى أن قال: فمحا اسمه من ديوان القراء» انظر: حاشية كتاب معرفة القراء الكبار، للذهبي بتحقيق: د. بشار معروف ٧٤٥/٢، والدرر الكامنة ٣/١٨٩.

القزويني (ت ٧٣٩هـ)، فقد قال في ختام ترجمته: «وسيرته تحتل كراريس، فالأمر لله، وما كل ما يعلم يقال، فالأمر شديد، والرشاء قبيح!»<sup>(١)</sup>.

والمفهوم أنه كان متحرراً في إطلاع رسالته هذه - أيضاً - فلم يُطلع عليها إلا مَنْ توثق منهم، مثل تلميذه الحافظ خليل بن كيكلدي العلائي، ولم يُرها أمثال التاج السبكي، أو خليل الصفدي<sup>(٢)</sup>، فضلاً أن يُوقف عليها تلاميذ أبي العباس ابن تيمية، وإن كان يرد أن منهم مَنْ علم بها، فأسمعه ما كرهه وتأذى منه، وذلك قوله: «مع أنني قد أوديت لكلامي فيه من أصحابه وأضداده؛ فحسبي الله!»، ومعروف أن في أصحاب شيخ الإسلام وأضداده الأمراء والقضاة.<sup>(٣)</sup> والذي يظهر أن ما قاله في هذه الرسالة، من تهمة الكبير والعجب، كانت نتيجة صار إليها قبل تأليفها، إذ يرى أنه كان يحوم حولها في بعض تراجمه لابن تيمية، فيرمز إليها هناك، وقد صرح بها هنا.

وقد أشار العلائي إلى طريقة شيخه الذهبي في الرمز عند نقد بعض معاصريه، فذكر: أنه إذا لم يُقدّر على أحد منهم بتصريح قال في ترجمته: «والله يُصلحه!»<sup>(٤)</sup>، ولحظ مثل ذلك ابن حجر العسقلاني، فذكر أن له عادة

(١) ذيل تاريخ الإسلام: ص ٣٥٤.

(٢) وكان السبكي يزوره صباح مساءً. وأما الصفدي فتملك الكثير من مصنفاته بخطه. انظر: طبقات الشافعية ٣٩٨/١٠، وأعيان العصر ٢٩١/٤، ٢٩٢.

(٣) وإن كانت كفة أضداده قويته في أخريات حياته، رحمه الله تعالى، حتى استصدرت مرسومًا فيه الأمر: «بأن كل مَنْ كان من أصحاب ابن تيمية لا يؤلى حُكماً، ولا سائر الوظائف الدينية. وعزل بسبب ذلك جماعة في الشام كانوا ينتحلون من الحُكم، ومن المدارس التي كانت بأيديهم». من مجموع بخط القاضي تقي الدين السبكي، الورقة ٩١. وانظر: طبقات ولده التاج السبكي ١٦٤/٩.

(٤) طبقات الشافعية، للسبكي ١٣/٢. ويبدو أن العلائي لا يستثني نفسه من ذلك، فقد دعا الذهبي له بمثلها حين قال: «...وحصل الأجزاء الجيدة، والكتب النفيسة، ودرس وأفتى وناظر، والله



في تراجم مَنْ يَخْشَى غائلةَ التصريحِ فيهم<sup>(١)</sup>.

وثمة دواعٍ آخر لتحفُّظِ الذهبيِّ في أن يَبْذُلَ هذه الرِّسالةَ لجميعِ طُلَّابه كي يَسْتَنْسِخُوا منها نُسَخَهُمْ، ألا وهو «رَدُّ فِعْلٍ» أصنافِ المنتقِدين فيها، من مثْلِ القُرَّاءِ المجوِّدة، وقُرَّاءِ النِّغمِ والتَّمْطِيطِ، والجنائِزية، وأذْنا بِ الممالِكِ وأبْواقِهم، منَ الأدباءِ والشُعراءِ، وفقهاءِ المذاهبِ الأربعة، وبخاصَّةِ كلامه على الفقهاءِ الحنفيَّة، الذين نَقَلَ مصدرٌ قَريبُ العهدِ مِنَ المؤلِّفِ أَنهم سألوه - يوماً - أن يَجْمَعَ شيئاً في أحاديثِ الإمامِ أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) رحمه الله، فتوقَّفَ، وسَهَّلَ الأمرَ، وعَلَّلَهُ بِقِلَّةِ أحاديثه، فكان أن أمهَلَتْهُ الحنفيَّةُ، حتَّى إذا خرج إلى الجامعِ سَحَرًا، أمسكوه وأدخلوه بعضَ المدارس، وهُم يُوهِمُونَهُ أَنه سَيُذْبَحُ، فتَلَطَّفَ بِهِمْ، وأنعمَ لهم بما طُلبَ منه، وجمعَ لهم شيئاً سَمَّاهُ: «صحيفة نظيفة من حديث أبي حنيفة»<sup>(٢)</sup>.

يَبْدَأُ ما لا يُشْكُ فيه أن تلكَ الكلماتِ العائرة لم تكن رُجوعاً منه عن جميعِ رأيهِ في ابنِ تَيْمِيَّةَ، أو نُكوصاً عن سَلَفِيَّ اعتقادِهِ، إذ لو كان الأمرُ «تراجعاً» عنهما لما نَفَى تَهْمَةَ التجسيمِ عن الحنابلة، ولما استمرَّ على تحذيره من تفسيرِ الفخر الرازي، عند كلامه على المفسِّرين، ولما شَهِدَ بقيامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ في الحقِّ والجهادِ بكُلِّ ممكنٍ، ولا أنَّ خصومه ليسوا بأورَعَ منه ولا أعلمَ ولا أزهدَ، ولما سَمَّى إلزاماتهم له بالباطلة، ولأضافها - لو كان وُجِدَ هذا التراجع - «معلومة» جديدةً إلى تراجمه عنه<sup>(٣)</sup>، وبخاصَّةِ في

= يصلحه أمين «معجم الشيوخ ١/ ٢٢٤. وكان العلاني لا يخلو من تعصب للأشاعرة.

(١) الدرر الكامنة: ٤/ ٤، والمقفى الكبير: ٥/ ٢٢٥.

(٢) أورد القصَّةَ تقيُّ الدين الفاسي في كتابه: تعريف ذوي العلا، ص ٥٠.

(٣) انظر حول إضافات الذهبي في: مقدمة الدكتور عمر تدمري على: ذيل تاريخ الإسلام، ص ٦،

ترجمته المطوّلة له في «الدّليل على تاريخ الإسلام»، أو في رسالته: «الدُّرّة الّتيَمِيّة في السّيرة التّيمِيّة». <sup>(١)</sup> بل يُلحَظ نوع تخفيفٍ وتلطيف، في الإصدار الثاني من هذه الرسالة، وإن بقي أصل العثرة في التحليل موجوداً.

إذن فما الموقفُ تجاهَ نتيجة هذا التحليل والتفتيش والوزن لشخصيّة شيخ الإسلام؟ أيقال: إنّها من كلام الأقران، وكلامهم: «لا يُقبلُ كُلُّه، ويُقبل منه ما تَبَرَّهَن» <sup>(٢)</sup> وأنّ هذا مِنْهُ، وهيهات أن يُبرَهَن، وكفى؟ أم يُلجأ إلى دعوى التزوير على الذهبيّ، وأنه كلامٌ مُفحَمٌ في رسالته؟ أم الصوابُ القول: إنّها نتيجة خطأ في تحليل مواقف رآها الذهبيّ - وغيره - من ابنِ تيميّة، كانت ذات إشكالٍ بحقّ، حتى تطلّبت من مثّل الذهبيّ كلّ هذه السنين المتطاولة وزناً وتفتيشاً لها، حتى إذا ما جاء مُقتضى كتابتها - في رأيه - جعلها في هذه الرسالة، واكتفى بالإشارة إليها رمزاً في مواضع أخرى، كالتّي قال فيها مثلاً: «ولا ريب أنه لا اعتبارَ بَدَمٍ أعداءِ العالم؛ فإنّ الهوى والغضبَ يحملُهم على عَدَمِ الإنصاف، والقيام عليه. ولا اعتبارَ بِمَدَحِ خَواصِّهِ والغُلّةِ فيه؛ فإنّ الحُبَّ يحملُهم على تَغْطِيَةِ هَنَاتِهِ، بل قد يَعُدُّونها مَحاسِنَ»، ثمّ قوله: «ولكن لا يَسْعُنِي في ديني، ولا عقلي أن أكتُمَ محاسنَه، وأذفنَ فضائلَه، وأبرزَ ذُنُوباً له مغفورةً في سَعَةِ كَرَمِ الله تعالى وِصفِجِه، مغمورةً في بحرِ عِلْمِه وِجودِه»؟

ليس كِبَراً بل مَهَابَةً وَعِزَّةً نَفْسٍ امْتَزَجاً بِحِدَّةٍ مِزَاجٍ:

نَعَمْ، ما أوردَه الذهبيّ في هذه الرسالة، في حقّ ابنِ تيميّة، هي «الذُّنُوبُ» و«الْهَنَاتُ» التي ظَنَّهما كذلك، وأشار إليهما في (ذيل تاريخ

= وكتاب: الذهبي ومنهجه... للدكتور بشار معروف ص ٦٤، ٢٧.

(١) رأى ابنُ الورديّ هذه الرسالة، ونَقَلَ عنها في تاريخه: تنمة المختصر في أخبار البشر ٢/٤١٣.

(٢) قاله المؤلف في: ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٦٨.

الإسلام)، وإنها لَكَبُوءَةٌ تحليليةٌ مِن أَبِي عبد الله الذهبي، وَإِنْ توَصَّلَ إليها بعد تَعَبٍ ومَلَالَةٍ مِنْ تَكَرُّرِ الوُزْنِ والفَتْشِ، في السنين المتطاولة. وأنا أَعُوذُ بالله - جَلَّ وَعَزَّ - أَنَّ أَتَاهُمُ الحَافِظَ بِتَعَمُّدِ الكَذِبِ، فلا جَرَمَ أَنَّهُ رَأَى أَشْيَاءَ وَسَمِعَ أَشْيَاءَ، ولكنه رَأَى عِزَّةَ نَفْسِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، فَظَنَّهَا كِبَرًا، ورَأَى تَحَدُّثَهُ بِنِعْمَةِ الله عليه فخاله عُجْبًا، ورَأَى ثَبَاتَهُ على الإِصْلَاحِ، فَحَسِبَهُ حُبًّا لِلظُّهُورِ، ورَأَى جِدَالَهُ واحتِجَاجَهُ لاجْتِهَادِهِ، فَعَدَّهُ مِمَّنْ لا يَلْتَفِتُونَ لِنُصْحِ نَاصِحٍ، رَأَى أَكْثَرَ هَذِهِ الأُمُورِ مَمزُوجَةً بِحِدَّةِ شَيْخِ الإِسْلَامِ في الحِوَارِ، وغير بعيد أَنَّهُ قَرَأَ - مع ذَلِكَ - تعريفات العلماء عن (الغضب) و(الحِدَّةِ)، كتعريف الإمام بُرْهَانَ الدِّينِ النَّسْفِيِّ، الحَنْفِيِّ (ت ٦٨٧هـ): «الْغَضَبُ: ثَوْرَانُ الحَرَارَةِ والدَّمِ، وانتشارُهُما في العُرُوقِ لِدَفْعِ المَكْرُوهِ، أو قَصْدِ الانتِقامِ، وقِيلَ: غَلِيَانُ دَمِ القَلْبِ، مع إِرَادَةِ الانتِقامِ، وَأَنَّهُ مَمْدُوحٌ في محلِّهِ، قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقد مُدِّحَتْ الشَّجَاعَةُ، ولا تكون إلا مع الغضب، وَإِنْ جَاوَزَ حَدَّهُ يُدْمُ، وقد ذُمَّ في الشَّرْعِ مُطْلَقًا؛ لأن الظَّاهِرَ أَنَّ عَمُومَ النَّاسِ لا يَقِفُونَ على حدودِهِ»، «وَأَسْبَابُهُ: الْعُجْبُ، والمِزَاجُ، والمِمارَةُ، وشِدَّةُ الحِرْصِ على المَالِ والجَاهِ، وَأَنَّهُ لا يكون بدون الكِبَرِ!»<sup>(١)</sup>. ولا بُدَّ أَنَّهُ قَرَأَ مِنْ رِسَائِلِ شَيْخِهِ العِمَادِ الوَاسِطِيِّ (ت ٧١١هـ) هَذِهِ القَاعِدَةَ الَّتِي قال فِيهَا: «وصفة ذلك أَن العبد العاقل المؤمن العارف بربه يكون له قلب وبصيرة، يرى بها عَظَمَةَ ربه سُبْحَانَهُ وتعالى، ويلاحظ بها أَمْرَهُ ونَهْيَهُ، وينظر في العَوَاقِبِ، فترَكَّبَ مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ سَكِينَةً وَغِيَّةً في صِفَاءِ الفِكرِ تَلَحُّقُهُ، فتكون هَيْئَتُهُ كَهَيْئَةِ مَنْ يكون في حَضْرَةِ المَلِكِ، فلا بُدَّ أَن يَلْتَبِسَهُ مِنْ عِزِّهِ ووقاره ما يَظْهَرُ مِنْهُ على وُجُودِهِ الظَّاهِرِ، بحيث لا يَخْجِرُ

أحدًا، ولا يبخسه حقه، ولا يُعَدِّيهِ طَوْرَهُ، فهذه التي تُسَمَّى العِزَّةَ، وهي عِزَّةٌ مقصورة على القلوب، مقرونة بصفات العقل، عليها طلاوة وحلاوة تشربها القلوب، وتستحليها العقول، وتورث صاحبها محبةً في القلوب، وميلًا إليه مع ما يظهر عليه من آثار تلك العِزَّة.

فمتى قُصِّرَت هذه القُوَّة فيه انحطَّ إلى المهانة، فيورث ذلك السخرية والاستهزاء به بين الناس، كما يورث صاحب العِزَّة الوقار والتعظيم بين الناس، ومتى أفرطت العِزَّة فيه أخرجته إلى الكِبَر، والكِبَر حركات شيطانية نفسانية، تتركَّب من رؤية قَدْرِهِ، ونفوذ حِكْمَتِهِ وعِلْمِهِ، وقصور غيره عن حاله، وتورثه استكبارًا عن الحق إذا طُولِبَ به، وإقامة المعاذير لنفسه عند ظهور الحُجَّة عليه، والغِيبة عن ربه ومولاه الذي هو رقيب عليه، فلو لاحظَ ذلك لَدَلَّتْ نفسه واعتدل كِبَرُهُ، وصار عِزَّةً؛ إذ معرفة الله تعالى وظهور صفات النفس - غالبًا - لا يجتمعان، اللهمَّ إلا في ناقص البصيرة، بحيث يُبصر أمرًا ويغيب عن آخر، فقد يدخل عليه بسبب العمى ما يخلفه عن ذلك. ومن علامات الكِبَر أنه يطلب إقامة جاهه وكسره غيره، والانتقام منه بغير حق، ولا يذكر أحدًا إلا انتقصه وذكر عيوبه ونسي فضائله، وذكر فضائله وأظهر فضائل نفسه، وهو - كما سبق - صفة يُقارنها العمى، والعِزَّة صفة يُقارنها البَصَر، وبالله المستعان»<sup>(١)</sup>.

وإنَّكَ لو تأملتَ مجموعَ ما انتقدَه الذهبيُّ على شيخ الإسلام، في غير رسالة «الزَّغل»، لرأيتَ أنَّ خطأه في «وَرْنٍ» و «تَفْتِيشٍ» شخصيَّة ابنِ تَيْمِيَّة،

(١) قاعدة في الفرق بين كِبَر النَّفس وعِزَّة القَلْب، وبين البَغْي والشجاعة وغيرهما، للعماد الواسطي، مخطوطة. الورقة ١٥٩-١٦٠.

موجودٌ في خَلَلِ هذه الكلمات: يقول الحقُّ المرَّ، تَعْتَرِيهِ حَدَّةٌ قَوِيَّةٌ، وَغَضَبٌ وَشَطَفٌ لِلخُصْمِ، كَأَنَّهُ لَيْثٌ حَرَبٌ، لَا يُلَاطِفُ الخُصُومَ، وَلَا يَرْفُقُ بِهِمْ، فِيهِ قَلَّةٌ تُؤَدِّةٌ، وَعَدَمٌ مُدَاراةٍ غَالِباً، لَا يَلْزُمُ المِجَامِلَةَ وَحُسْنَ المِكالِمَةِ، قَدْ يُعْظَمُ جَلِيسُهُ مَرَّةً، وَيُهَيِّنُهُ فِي المِحاوَرَةِ مَرَّاتٍ. وَأَنَّهُ مَعَ تَكَرُّرِ سِجْنِهِ لِيَقْتَرَعَ عَنْ خُصُومِهِ، وَيُقَصِّرَ عَنْ بَسْطِ لِسَانِهِ وَقَلَمِهِ كَانَ لَا يَرْجِعُ وَلَا يَلْوِي عَلَى نَاصِحٍ، ... وَكَانَ قَدْ لَحِقَهُمُ حَسَدٌ لِلشَّيْخِ، وَتَأَلَمُوا مِنْهُ، بِسَبَبِ مَا هُوَ المَعْهُودُ مِنْ تَغْلِيظِهِ وَفِظَاطِيَّتِهِ، وَفَجَاجَةِ عِبَارَتِهِ، وَتَوْبِيخِهِ الأَلِيمِ المُبْكِي المُنْكِي، المِثِيرِ لِلنَّفُوسِ، وَلَوْ سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ لَكَانَ أَنْفَعَ لِلْمُخَالَفِينَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك فَقَوِيٌّ فِي الاحْتِمَالِ أَنَّهُ كَانَ يُلْمَحُ إِلَى خَطَأِ تَحْلِيلِهِ هَذَا عِنْدَمَا ذَكَرَ أَنَّ أَصْحَابَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَأَعْدَاءَهُ كَانُوا يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَخْلَاقاً وَأَفْعَالاً؛ مُنْصِفُهُمْ فِيهَا مَأْجُورٌ، وَمُقْتَصِدُهُمْ فِيهَا مَعْذُورٌ، وَظَالِمُهُمْ فِيهَا مَآزُورٌ، وَغَالِيَهُمْ مَغْرُورٌ، وَكَذَا حِينَ قَالَ فِي تَرْجُمَةِ أَخِيهِ: عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٧هـ): إِنَّهُ كَانَ «يَنْقِمُ عَلَى أَخِيهِ أَشْيَاءَ وَيَكْرَهُهَا مِنْهُ»، ثُمَّ قَالَ: «فَاللَّهُ يُصْلِحُهُمَا وَيُزِيدُهُمَا»، ثُمَّ أَعَادَ الدَّعَاءَ نَفْسَهُ لِشَيْخِ الإِسْلَامِ، فِي تَرْجُمَتِهِ لَهُ، فِي الْكِتَابِ نَفْسِهِ، بِقَوْلِهِ: «وَاللَّهُ يُصْلِحُهُ وَيُسَدِّدُهُ»<sup>(٢)</sup>، فَالرَّمْزُ - هُنَا - بِتِلْكَ

(١) تاريخ الإسلام ٧٠٠/١٥، والمعجم المختص، للذهبي ص ٢٦، والذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ٤/٤٩١-٥٢٩.

(٢) معجم الشيوخ ١/٥٦، ٣٢٤. وَلَمَّا كَانَ الإمامُ ابْنُ قَيِّمٍ الجوزِيَّة، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (ت ٧٥١هـ) مِنْ أَشَدِّ المَتَحَمِّسِينَ لِدَعْوَةِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ إِلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، المَقْتَدِينَ بِهِ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ نَالَ مِنْ خَطَأِ تَحْلِيلِ الذَّهَبِيِّ بَعْضَهُ، فَقَدْ قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ لَهُ فِي (المعجم المختص): «وَقَدْ حُبِسَ مَدَّةً وَأُوذِيَ لِإِنْكَارِهِ شِدَّ الرُّخْلِ إِلَى قَبْرِ الخَلِيلِ، وَاللَّهُ يُصْلِحُهُ وَيُوقِّقُهُ، سَمِعَ مَعِيَ مِنْ جَمَاعَةٍ وَتَصَدَّرَ لِلإِسْتِغْثَالِ وَنَشَرَ العِلْمَ، وَلَكِنَّهُ مُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ، سَيِّئُ العَقْلِ، جَرِيءٌ عَلَى الأُمُورِ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ!». انظر: نسخة المكتبة الناصرية في (لكنو) بالهند، وهي التي اعتمدها الدكتورُ مُحَمَّدُ الحَبِيبُ الهَيْلَةُ، وهي في طبعته: ص ٢٦٩، لَكِنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ فِي المِتنِ قَوْلَهُ: «سَيِّئُ

الأخلاق والأفعال، هو ما تَوَهَّمَهُ في رسالته هذه، وإنما تشابه على الإمام الذهبي، وغيره، الأمر، فجعلوا ما قد يُحَمَّد في الرَّجُل ما يُذَمُّ.

لقد كان الذهبي يَسْتَعْظِمُ مِنْ مزاج ابن تَيْمِيَّةَ، وهو مَنْ يَرَاهُ طَوْدًا في العلم، قُدُوءَ، إماماً ربَّانِيًّا، أَنْ يُظْهَرَ كُلُّ هذه الحِدَّةِ والثَّورَانِ، وَيَجْبَهُ مُحَاوَرَةُ المخالِفَ له بِحَادِّ القَوْلِ وإِبْرِهِ، وَيَرَى أَنَّ عَكْسَ ذلك كان الأوَّلَى بِهِ، وَأَنَّ ذلك مِنْ ذُنُوبِهِ، والحِظُّ ذلك - أيضاً - في تعبيره عن اعتراضات السَّروجي (ت ٧١٠هـ) على كتاب (الحَمَوِيَّةِ)، فقد قال عنها: «وله رَدٌّ على شيخنا ابن تَيْمِيَّةَ بِسَكِينَةٍ وَصِحَّةِ ذَهْنٍ، ثُمَّ رَدَّ الشَّيْخُ على رَدِّهِ»<sup>(١)</sup>، وفيما قاله في تَصَرُّفِ قاضي الحنابلة: تقيِّ الدين المقدسي (ت ٧١٥هـ) يومَ فتنَةٍ متعصبةٍ الأشاعرة سنة: ٧٠٥هـ: «...فَتَلَطَّفَ القاضي تقيِّ الدين في الأمرِ، ولم يَظْهَرْ عليه أَلَمٌ ولا غَضَبٌ، ودارى بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وأَخَذَ يُدَافِعُ وَيُمَاطِلُ،

= العقل» وعلَّلَ ذلك بما لا يَنْهَضُ رأياً وسبباً، والأمرُ ظاهرٌ لمن تأمله، فقد كان للذهبي رأيٌ ناقداً لأسلوب شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ في الدعوة، وأسلوب بعض تلاميذه، وأوْذَى بِسببِهِ، ذلك الأسلوب الذي ذكر نَتِيجَتَهُ التَّقِيُّ الفاسيُّ في ترجمة ابن القيم، (وبها يُفْهَمُ مقصِدُ الذهبي بالكلمة التي لم يُسَيِّئْها الدكتورُ الهيلة)، حين قال: «تَفَقَّهَ بالشَّيْخِ تقيِّ الدين بن تَيْمِيَّةَ، وأخذ عنه فنوناً من العلم، وكان من جملة أصحابه، وتأذى ابنُ تَيْمِيَّةَ بِسببِهِ، لأنه أعلن عن ابن تَيْمِيَّةَ بِكثير من المسائل المَنتَقَدَةِ عليه، وأوْذَى هو بِسببِها أيضاً». إيضاح بُغْيَةِ ذوي البصارة، الورقة ١١٥، ومع أنني لم أَقِفْ على رسالة: «القَبَّانِ في أصحاب ابن تَيْمِيَّةَ» للذهبي، التي ذكرها السخاوي في: «الإعلان بالتوبيخ» ص ٣٠٧، فإنَّ في معنى اسم الكتاب (القَبَّانِ) إشارةً إلى أَنَّ فيه كلاماً في نقد بعضهم، فالقَبَّانُ: أَلَّةٌ من آلاتِ الوزن، وفي الاحتمال أن يكون لذلك كله دَخْلًا في إدراج اسم الذهبي، مِنْ قَبْلِ بعضِ تلاميذ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ في كتاب لا يَلِيْقُ أَنْ يُدرَجَ فيه، قال ابن ناصر الدين الدمشقي: «وقد ذَكَرَهُ (الذهبي) تلميذُهُ شيخنا أبو بكر محمد بن المَجِبِّ الحافظُ في كتابه: التذكرة في الضعفاء؛ فما أنصَفَ، لأنهم اتَّفَقُوا على ثِقَتِهِ وعدالَتِهِ، وحفظِهِ وإمامَتِهِ». انظر: توضيح المشتبه، للحافظ ابن ناصر الدين: ٤ / ٤٨.

(١) ذيل تاريخ الإسلام، ص ٨٠.

وما كَتَبَ شيئاً، وخمدَ الشرَّ، وأرادوا منه أن يكتبَ بالبراءة من معتقد ابن تَيْمِيَّةَ، فامتنع، وترَفَّقَ بهم»، وفي وَصْفِهِ للحافظ المَزِّي، في ترجمته: «وكان طويلَ الروح، رِيَّضُ الأخلاقِ جدًّا، لا يَرُدُّ بعُنفٍ، ولا يَتَكَثَّرُ بفِضائله»<sup>(١)</sup>. وفيما حكاه مِنْ سَجِيَّةِ عبد الله ابن تَيْمِيَّةَ: «وكان... مُنْصِفاً في بُحوثه»، ثمَّ قال: «وكان -شيخنا- يَتَأَدَّبُ معه ويحترمه!»<sup>(٢)</sup>.

وإِذْ يُفْهَمُ مِنْ كلامِ أبي عبد الله الذهبي أَنَّ الحافظَ المَزِّيَّ كان على رأي أبي العباس ابن تَيْمِيَّةَ، في الدخول في مباحث أهل الفلسفة والكلام، للرَّدِّ عليهم وإسقاطهم بِسِلَاحِهِمْ، وإِذْ عُلِمَ - كما مرَّ بك - أنه كان «لا يَرُدُّ بعُنفٍ» في حواراته، مع الذهبي (وأُطْلِقَ عليها الذهبيُّ: مجادلات ومعارضات)<sup>(٣)</sup> فغير بعيد أن تكون قد جَرَتْ للذهبيِّ مِثْلَاتُهَا<sup>(٤)</sup> مع ابن تَيْمِيَّةَ، وهو أستاذ

(١) ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٣٤، ٣٨٤.

(٢) ذيل تاريخ الإسلام، ص ٢٥٠.

ذيل تاريخ الإسلام، ص ١٣٤، ٣٨٤. قلت: يُفْهَمُ مِنْ كلامِ الذهبي في هؤلاء العلماء أَنَّهُ كان يُحِبُّ أن تكون الوداعة والدِّمَاءَةُ مِنْ صفات أهل العلم، ويرى أن: «أشَرَّ الكِبَرِ مَنْ تَكَبَّرَ على العباد بعِلْمِهِ، وتعاظَمَ في نَفْسِهِ بفضيلَتِهِ، فإنَّ هذا لم ينفعه علمه، فإنَّ مَنْ طَلَبَ العلمَ لِلاخِرَةِ كَسَرَهُ عِلْمُهُ، وَخَشَعَ قَلْبُهُ، واستكانتْ نَفْسُهُ، وكان على نَفْسِهِ بالمرصاد...» (كتاب الكِبَارِ، ص ٧٩).

(٣) تذكرة الحفاظ ١٤٩٩/٤

(٤) نقل الذهبي، من ذلك، حواراً قصيراً، فيه اعتراض له على فهم ابن تَيْمِيَّةَ لبيت لإسماعيل ابن عَزَّ القضاة الدمشقي (ت ٦٨٩هـ) وهو:

وَحَيَاتِكُمْ ما إِنْ أَرَى لَكُمْ سِوَى إِذْ أَنْتُمْ عَيْنُ الْجَوَارِحِ وَالْقُورَى  
فقال ابن تَيْمِيَّةَ: هذا الشعرُ عَيْنُ الاتحادِ.

فقال الذهبي: إنما أرادَ أَنْ يَنْظِمَ قولَه: «فإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به...».

فقال ابن تَيْمِيَّةَ: سياقُ الحديثِ يَدُلُّ على بُطْلانِ هذا، وهو قوله: «فبي يسمع وببي يبصر»،

فقال الذهبي: لم أَجِدْ هذه اللفظة «فبي يسمع وببي يبصر». تاريخ الإسلام ٦٢٨/١٥، وقال في

المزّيّ فيها، لكنه فاقدٌ لأسلوبه في الحوار، كما يصف الذهبي، فلم يتمالك أبو العباس حِدَّةَ مزاجه، فصَدَرَتْ منه كلماتٌ قاسيةٌ، أوجَعَتِ الحافظ الذهبيّ، وكلا الرَّجُلَيْنِ بَشَرٌ مِنَ الْبَشَرِ، وهما غيرُ معصومَيْنِ، والخطأُ عليهما في ذلك جائزٌ، وربما تَكَرَّرَ ذلك في أكثرِ من مجلسٍ، فكان أن فسَّرَ الذهبيّ مجموع ما رآه وسمِعَه: بأن وراءَ الكِبَرِ والعُجْبِ، وفرَعٌ - على ذلك - فَرْطُ الغرامِ برياسة المشيخة، وحبُّ الظهور.

نَعَمْ، غير بعيدٍ أن يكون قد وَقَعَ له ما وقع لأبي حَيَّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، الذي جَمَعَه مع أبي العباس مجلسٌ، فتحاوَرَا في مسألةٍ مِنَ النَحْوِ، فَقَطَعَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فيها، وألْزَمَهُ الْحُجَّةَ، فلما أوردَ أبو حَيَّانُ كلامَ سيبويه (ت ١٨٠هـ) يَحْتَجُّ بِهِ، اخْتَدَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، وقال له: «يَفْشُرُ سيبويه! أسيبويه نبيُّ النَّحْوِ، أرسَلَهُ اللهُ به، حتَّى يكون معصوماً؟ سيبويه أخطأ في القرآن في ثمانين موضعاً ما تَفْهَمُهَا أَنْتَ ولا هُوَا!»<sup>(١)</sup>.

ومما ينبغي أنَّ يُعْلَمَ أنَّ أبا العباس لم يَقَعْ بِمِثْلِ هذا الجوابِ المَغْضَبِ، لمجرَّدِ اعتراضٍ صَدَرَ من أبي حيان، واحتجاجٍ منه بسيبويه، بل يَرِدُ جَدًّا: أنَّ أبا حيان قد استعملَ معه أسلوبَه المستَفْزِرَ، الذي يَدْفَعُ الْحَلِيمَ إِلَى الْغَلِيَانِ،

= موضع آخر: «قال لي شيخنا ابن تيمية: يَغْلِبُ على الآمدي الحيرة والوقف؛ حتَّى إنه أورد على نفسه سؤالاً في تسلسل العِلَلِ، وزعم أنه لا يعرف عنه جواباً، وبنى إثباتَ الصانع على ذلك، فلا يقرر في كتبه إثبات الصانع، ولا حدوث العالم، ولا وحدانية الله، ولا النبوات، ولا شيئاً من الأصول الكبار. قلت: هذا يدل على كمال ذهنه، إذ تقرُّبُ ذلك بالنظر لا ينهض، وإنما ينهض بالكتاب والسنة، وبكُلِّ قد كان السيفُ غايةً، ومعرفته بالمعقول نهاية، وكان الفضلاء يزدهمون في حلقته» سير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٦٦ والمفهوم أن تعليق الذهبي الأخير ليس في مجلس الحوار.

(١) الدرر الكامنة، لابن حجر ٩٢ / ١، والرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، ص ١٢١.



فقد قيل: إنه «كان يستهزئ بالفضلاء من أهل القاهرة، ويحتملونه لحقوق اشتغالهم عليه»<sup>(١)</sup>، و«كان سيء الظنّ بالناس كافة، فإذا نُقِلَ له عن أحدٍ خيرٌ لا يتكيّف به، وإذا كان شرّاً يتكيّف به، ويبنّي عليه، حتّى ممن هو عنده مجروحٌ، فيقع في ذمّ من هو بالسنة العالم ممدوحٌ، وبسبب ذلك وقع في نفس جمّع كثيرٍ منه ألمٌ كثيرٌ»<sup>(٢)</sup>، «وكان فيما قيل يُفضّل نفسه على ابن مالك [ت ٦٧٢ هـ]، وعلى شبيهه من متأخري النحاة، ويحكي عنه أنه كان يقول عن نفسه: أنا أفصح من (قُسّ بن ساعدة)، ويبدّل القاف كافاً!»، و«كان كثير الوقعة في أهل عصره من العلماء، وغيرهم»<sup>(٣)</sup> ويحتمل أن هذه الخصال فيه كانت من أسباب الشرّ الذي وقع بينه وبين شيخه أبي جعفر بن الطّباع (كان حيّاً سنة ٦٧٩ هـ)، وهو في الأندلس قبل أن يخرج فارّاً منها إلى بلاد المشرق<sup>(٤)</sup>، ولأمر ما كان من دُعاء الذهبيّ له بعد مدّ العمر، والخاتمة الحسنة، قوله: «... وكفاه شرّ نفسه!»<sup>(٥)</sup>.

وإذا كان ما بابن تيميّة هو جدّة مزاج خلّقها الله تعالى في «مورثاته» العصيّة<sup>(٦)</sup>، ثمّ انصمّ إلى ذلك، بحكم نشأته ومرباه وإيمانه، عزّة نفس

(١) قاله ابن الوردي في تاريخه: ٢/ ٤٨٥.

(٢) حكاه الصفدي عن كمال الدين الأذفوي (ت ٧٤٨ هـ) في: أعيان العصر ٥/ ٣٣٣.

(٣) إيضاح بغية ذوي البصارة في الذيل على «الإشارة»، للفاسي المكي، الورقة ٢٥.

(٤) الدرر الكامنة، لابن حجر ٤/ ١٨٥-١٨٦، ونفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقرئ

٥٨٣/٢.

(٥) معرفة القراء الكبار، للذهبي ٢/ ٧٢٤.

(٦) التي ورثها - والله أعلم - من جدّه المجديّ بن تيميّة رحمه الله تعالى (ت ٦٥٢ هـ)، عرفنا ذلك الذهبيّ نفسه، نقلاً عن ابن تيميّة، حيث قال: «قال شيخنا: وكانت في جدّنا جدّة». تاريخ الإسلام ١٤/ ٧٢٨، ويُعلّم اليوم، مما كشف عنه العلم المعاصر، أن حدة الغضب، وغيرها من الطباع، ما جعل الله تعالى سببه في مورثات خلايا دماغ الإنسان العصبية، فترى من كان

المؤمن، التي هي مِنَ الصفاتِ المُمَدَّحة، وكان من المعلوم أن الكِبَرِ وعِزَّة النفس من أعمال القلوب، وأن من آثارهما الظاهرة الغضب، فإنَّ تفریق الذهبي، وغير الذهبي، بين غَضَبَتِهِ - رحمه الله تعالى - وغضبة المتكبر، يكاد يكون مستحيلاً على الإنسان، الذي لا يَعْلَم ما تُخفي الصدور. وهنا كلامٌ نفيسٌ، قرأته في كتاب: (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، قال: «وَأَمَّا الْعِزَّةُ: فَالْتَرَفُّعُ بِالنَّفْسِ عَمَّا يَلْحَقُهَا غَضَاضَةٌ، وَأَصْلُهَا مِنَ الْعَزَازِ، وَهُوَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ، فَالْمَتَعَزِّزُ مِنْ حَصُولِهِ فِي عَزَازٍ، لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاضَةٌ، كَالْمَتَطَلِّفِ فِي كَوْنِهِ فِي ظَلْفٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَلْحَقُهُ مَذَلَّةٌ. وَالْعِزَّةُ مَنْزِلَةٌ شَرِيفَةٌ، وَهِيَ نَتِيجَةُ مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ بِقَدْرِ نَفْسِهِ، وَإِكْرَامِهَا عَنِ الصَّرَاعَةِ لِلْأَعْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَمَا أَنَّ الْكِبَرَ نَتِيجَةُ جَهْلِ الْإِنْسَانِ بِقَدْرِ نَفْسِهِ، وَإِنْزَالِهَا فَوْقَ مَنْزِلَتِهَا، وَكَثِيرًا مَا يَتَصَوَّرُ أَحَدُهُمَا بِصُورَةِ الْآخَرِ، كَتَصَوُّرِ التَّوَاضُعِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّدَلُّلِ بِصُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتَصَوُّرِ الْإِسْرَافِ بِصُورَةِ الْجُودِ، وَالبَخْلِ بِصُورَةِ الْحَزْمِ، وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - لِمَنْ قَالَ لَهُ: مَا أَعْظَمَكَ مِنْ

= كذلك مُهِئًا لثَوْرَانِ الْغَضَبِ بِأَدْنَى إِثَارَةٍ، وَكَثِيرًا مَا تَرْتَسِمُ عَلَيْهِ، وَقَتَ غَضَبِهِ، هَيْئَةُ الْمُتَكَبِّرِ، فَيَقَعُ الْخَلْطُ مِنْ حَاضِرِهِ: أَنْظِرْ! مَا أَشَدَّ كِبَرَهُ! نَعَمْ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ حَادَّ الْمَزَاجِ، سَرِيعِ الْغَضَبِ، لَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، وَأَحْسَبُ أَنَّ أَصْحَابَ أَبِي الْعَبَّاسِ كَانُوا «يَتَرَجِمُونَ» أَمْرَ مَزَاجِهِ الْحَادِّ بِقَرِيبٍ مِنْ هَذَا، حِينَ شَهِدُوا وَقَائِعَ ذَلِكَ وَتَنَاقَلُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ وَتَقْيِيدِهِ فِي كِتَابِهِمْ كَمَا فَعَلَ الْذَهَبِيُّ، وَقَدْ حَكَاهُ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ، مِنْ ذَلِكَ حِكَايَةً، وَخُلَاصَتُهَا: أَنَّهُ تَحَاوَرَ مَعَ بَعْضِهِمْ فِي مَسْأَلَةٍ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَكَانَ فِي يَدِهِ كِتَابٌ عِلْمٌ فَلَمَّا أَغْضَبُوهُ أَلْقَى الْمَجْلَدَ مِنْ يَدِهِ غِيظًا، فَلَمَّا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ؛ ذَكَرَهُمْ بِقِصَّةِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حِينَ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ. انْظُرْ: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، لِلصَّفْدِيِّ ١٧/٧ - ١٨. وَنَقَلَ أَنَّهُ عِنْدَمَا جَاوَزَهُ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - بِكِتَابٍ مَنَسُوبٍ زَوْرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ إِسْقَاطُ الْجُزِيَّةِ عَنْ يَهُودِ خَيْبَرَ، وَطُلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُعَيِّنَ عَلَى تَنْفِيزِهِ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ بَصُقَ عَلَى الْكِتَابِ، وَسَرَدَ فِي بَيَانِ أَنَّهُ مَزُورٌ عَشْرَةَ أَوْجِهٍ. انْظُرْ: زَادَ الْمَعَادُ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ، لِلْإِمَامِ ابْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ ٣/ ١٥٢.

نفسك! فقال: لستُ بعظيم، ولكني عزيز<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال النبي ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يُذَلَّ نفسه»، ولما قلنا: «قالوا: التكبر على الأغنياء تواضع»، تنبيهاً على أن هذا التكبر عزّة نفس، ومن أجل أن هذا التكبر غير مذموم، قال الله تعالى: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] <sup>(٢)</sup>.

وقال في: «المفردات في غريب القرآن»: «والكِبَرُ والتَكَبُّرُ والاستكبار تتقارب، فالكِبَرُ: الحالة التي يختصُّ بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظمُ التَكَبُّرِ التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق، والإذعان له بالعبادة. والاستكبارُ يقال على وجهين؛ أحدهما: أن يتحرَّى الإنسان ويطلب أن يصيرَ كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب، فمحمودٌ.

والثاني: أن يتشبع، فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن الكريم...».

ثم قال: «والتكبر يقال على وجهين؛ أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة، وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله تعالى [نفسه] بالمتكبر<sup>(٣)</sup>. قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾

(١) قال الإمام ابن قيم الجوزية: «...والعزُّ ضدُّ الذلِّ، والذلُّ أصله الضعف والعجز، فالعزُّ يقتضي كمال القدرة، ولهذا يوصف به المؤمن، ولا يكون ذمّاً له، بخلاف الكبر. قال رجلٌ للحسن البصري: إنك متكبر. فقال: لستُ بمتكبر، ولكني عزيز...» انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٨٦، دار ابن القيم. الدمام ١٤١٤ هـ.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) هنا عدلتُ خطأ لا أدري أهو من المؤلف أم من النسخة الخطية أم من الناشر؟ فقد ورد الكلام في المطبوعة هكذا: (وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر) فبناءً فعل: (وصف) للمجهول غير

[الحشر: ٢٣]. والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك مُتَشَبِّعاً، وذلك في وَصْفِ عامَّةِ الناسِ، نحو قولِهِ: ﴿فَلَيْتَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩]، وقولِهِ: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وَمَنْ وُصِفَ بِالتَّكَبُّرِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ، فمحمودٌ، وَمَنْ وُصِفَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي، فمذمومٌ.

وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ الْإِنْسَانُ بِذَلِكَ، وَلَا يَكُونُ مَذْمُوماً، قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] فجعلَ متكبرينَ بغيرِ الحقِّ، وقال: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، بإضافةِ القلبِ إلى متكبرٍ. وَمَنْ قرَأَ بالتَّنوينِ جَعَلَ المتكبرَ صِفَةً لِلْقَلْبِ. والكبرياءُ الترفُّعُ عن الانقيادِ، وذلك لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُ اللَّهِ. قال: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البجائية: ٣٧]»<sup>(١)</sup>

ومما يؤكد أنها في ابن تيمية عزة نفس، أو أنها فيه مِنَ الْوَجْهِ الْمَحْمُودِ، كما قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، وليست مِنَ الْكِبَرِ الْمَذْمُومِ؛ أنها شُوهِدَتْ فِي حَوَارَاتِهِ مَعَ غَيْرِ عُلَمَاءَ زَمَانِهِ، مَعَ الْأُمَرَاءِ، وَمَعَ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ، الَّذِينَ كَانَ قَتْلُ إِنْسَانٍ أَهْوَنَ لَدَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ ذَبَابَةٍ<sup>(٢)</sup>. وأنه كَانَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنَاصِبِ النَّاسِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَلِذَلِكَ «رَبَّمَا قَامَ لِمَنْ يَجِيءُ مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَابَ عَنْهُ، وَإِذَا جَاءَ فَرَبَّمَا يَقُومُونَ لَهُ، الْكُلُّ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، كَأَنَّهُ فَارِغٌ مِنْ هَذِهِ

= سائغ، لأن الله تعالى هو مَنْ وصف نفسه بذلك.

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٦٣٧-٦٣٨.

(٢) من أمثلة ذلك: خطابه لسلطان المغول غازان (ت ٧٠٣هـ)، ولسلطان المماليك

الناصر (ت ٧٤١هـ) صادعاً بالحق بصوت مرتفع. البداية والنهاية، لابن كثير ٩٣-٩٤،

١٨٢-١٨٣، وانظر كيف صَوَّرَ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) في ترجمته لابن تيمية

حادثة مخاطبته لغازان في كتاب: الجامع لسيرة ابن تيمية، ص ٣١٥.

الرَّسُومَ، وَلَمْ يَنْحَنِ لِأَحَدٍ قَطُّ، وَإِنَّمَا يُسَلِّمُ وَيُصَافِحُ وَيَبْتَئِسُ»<sup>(١)</sup> وَقَدْ حُرِّمَ أَهْلُ التَّكْبِيرِ الْحَقِيقِيِّ مِنَ الْإِبْتِسَامِ.

وعلى هذا ينبغي أن يُحمل ما قاله خصوم شيخ الإسلام، كالقاضي: محمد ابن السَّرَّاجِ الدَّمَشْقِيِّ، وأشباه خصومه، كالمحدث الرَّحَّال: محمد بن أحمد بن أمين الآقْشَهْرِيِّ (ت ٧٣١هـ) مِنْ تَوَهُّمِهِمَا هَذِهِ الْخَلَّةَ الشَّرِيفَةَ، الْمَشُوبَةُ بِحَدَّةِ مَزَاجِ خَلْقِيَّةٍ، كِبَرًا وَزَهْوًا وَعُجْبًا، وَذَلِكَ فِي كَلَامِ الْآقْشَهْرِيِّ قَوْلُهُ: «وَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْمَنْبَرِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمَفْسِّرِينَ مَعَ الْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ، فَيُورِدُ فِي سَاعَةٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاللُّغَةِ، وَالنَّظَرِ مَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُورِدَهُ، فِي عِدَّةٍ مَجَالِسٍ، كَأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، يَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَذَرُ، وَمِنْ ثَمَّ نُسِبَ أَصْحَابُهُ إِلَى الْغُلُوِّ فِيهِ، وَاقْتَضَى لَهُ ذَلِكَ الْعُجْبَ بِنَفْسِهِ، حَتَّى زُهِىَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنَسِهِ، وَاسْتَشْعَرَ أَنَّهُ مُجْتَهِدٌ، فَصَارَ يَرُدُّ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ...»<sup>(٢)</sup>

وَأَمَّا كَلَامُ ابْنِ السَّرَّاجِ الدَّمَشْقِيِّ، ذَلِكَ الْقَاضِي الْأَبْعَدُ؛ فَكَثِيرٌ رَذُلٌ، وَلَكِنِّي أَنْقَلَ لَكَ مِنْهُ، مَا يَدْخُلُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، مِنْ تَوَهُّمِ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ، وَهُوَ مَخْلُوطٌ بِكَذِبٍ وَسِبَابٍ لَا يَلْحَقُ إِلَّا بِقَائِلِهِ، قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ: «... لَا كَالَّذِي يَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ بِالْعُنْفِ وَالْغُلْظَةِ، وَعَدَمِ الرَّفْقِ، وَكَثْرَةِ الشَّقَشَقَةِ وَاللَّقْلَقَةِ، وَدَعْوَى التَّمَعُّلِ وَالتَّحْذِيقِ، وَالْفَوْزِ بِالدرْجَةِ الْعُلْيَا، وَالتَّقَدُّمِ عَلَى السَّابِقِينَ، وَالرَّدُّ عَلَى الْأُتَمَةِ السَّالِفِينَ، بَغَيْرِ خَبْرَةٍ، وَلَا دَرَايَةِ تَصْلُحَ لِلْعَافَرِينَ، مِثْلَ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى مَشْهَدِ الْحُسَيْنِ، وَالسَّتِّ نَفِيسَةً - رَضِيَ اللَّهُ

(١) قاله الذهبي! ونقله ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة ٤/ ٥١٠.

(٢) نقله ابن حجر العسقلاني في: الدرر الكامنة ١/ ٩٢.

عنهما - بالديار المصرية، فلم يَلْتَفِتْ أَحَدٌ إِلَيْهِ، وكان الصوابُ معهم..»<sup>(١)</sup>.

وقال: «... ليس كغيره مِنْ هَؤُلَاءِ النابِغِينَ [...]»<sup>(٢)</sup> في زماننا، المدَّعِينَ قُطْبِيَّةَ الْعِلْمِ، بَلِ الْعَالَمِ، مِمَّنْ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ الْخَسِيسَةُ حَتَّى قَدَحَ عِلْمَاءُ الْأُمَّةِ، وَخَطَأَ خُلَاصَةَ الْأُئِمَّةِ...»<sup>(٣)</sup>. وقال: «... كعادة أمثاله، مِمَّنْ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، وَفَسَدَ حَالُهُ...»<sup>(٤)</sup>.

وقال: «ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّا رَأَيْنَاهُ يَسْمَعُ الْكِرَامَةَ، وَتَثَبَّتْ عِنْدَهُ اضْطِرَارًا، لِمَوْجِبَاتٍ، فَيَعْتَمِدُ لَذَلِكَ عَظِيمًا، ثُمَّ نَحْمِلُهُ النَّفْسَ الْحَاسِدَةَ، وَالطَّبِيعَةَ الْكَدْرَةَ، الْمَتَكَبِّرَةَ كَثِيرًا، الْمَتَكَبِّرَةَ كَبِيرًا، فَيَأْخُذُ فِي إِبْطَالِهَا بِوُجُوهِ الضَّلَالِ، فَإِذَا عَجَزَ أَخَذَ فِي قَدْحِ النُّقْلِ مَهْمَا أَمَكَنَهُ، وَإِذَا سَمِعَ الْقَوَادِحَ أَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لَهَا، وَقَرَّبَ النَّاقلَ وَأَكْرَمَهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْمُتَفَرِّجِينَ فِيهِ، الضَّاحِكِينَ مِنْهُ، يَحْكُونُ لَهُ كِرَامَاتٍ يَتَحَقَّقُونَهَا، ثُمَّ يَقُولُونَ: اللَّهُ أَعْلَمُ إِنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْمَالِ الشَّيَاطِينِ، فيقول: أَحْسَنْتُمْ، أَنْتُمْ عَلَى مَذْهَبِي وَاعْتِقَادِي، ثُمَّ يَضُمُّ الْقَائِلَ إِلَى صَدْرِهِ، وَيُقَبِّلُ رَأْسَهُ، أَوْ غَيْرَهُ إِظْهَارًا لِرَجْحِهِ عِنْدَهُ، فيَقْضُونَ مِنْهُ الْعَجَبَ. ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ: أَنَا أَقْدَحُ الْمُبْطِلِينَ، فَجَعَلَ لَذَلِكَ الْأَكْثَرَ مُبْطِلِينَ بِمُغَالَبَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ الْخَارِجِ»

حَتَّى قَالَ: «فَإِنْ أَنْكَرَ مُتَعَصِّبٌ بِالْبَاطِلِ، فَقُلْ: يَا قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ! وَهَذَا مِمَّا يُشْكُ فِيهِ؟! هَا هُوَ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ الطَّاغِينَ يُنَادُونَ: مَنْ هُوَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ [ت ٤٧٨ هـ]؟ مَنْ هُوَ الْغَزَالِي [ت ٥٠٥ هـ]؟ كُلُّ هَؤُلَاءِ كَانُوا

(١) تَفَاحُ الْأَرْوَاحِ وَمِفْتَاحُ الْأَرْبَاحِ، لِابْنِ السَّرَّاجِ، مَخْطُوطٌ، الْمَنْقُولُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ.

(٢) كَلِمَةٌ غَيْرُ مَقْرُوءَةٍ فِي الْمَخْطُوطِ.

(٣) تَشْوِيقُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ إِلَى ذِكْرِ عَلَامِ الْغُيُوبِ، لِابْنِ السَّرَّاجِ، نَسْخَةُ الْمُؤَلَّفِ، الْوَرَقَةُ ٦١.

(٤) تَشْوِيقُ الْأَرْوَاحِ، الْوَرَقَةُ ٤٩-٥٠.

فلاسفة كلاباً، قد طَمَسُوا الدِّينَ - هذا في المتقدِّمينَ المشتهرين - مَنْ هُوَ تاجُ الدينِ الفِرْكَاحُ [ت ٦٩٠ هـ]؟ مَنْ هُوَ محيي الدِّينِ النواوي؟ هذا في المتأخرين، الذين كُنَّا في زَمَنِهم صِبْيَاناً، كِلَيْنَا، لِكُونِهِم سَبْقُوهُ، وهو يُريد طَمَسَ أَسْمَائِهِم، ومحو فضائلهم، لِيَسْتَفِرِدَ بالرَّئاسةِ، أُسْوَةً أَمْثَالِهِ، مِمَّنْ لَا يَتَّقِي اللهَ، وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْهُ، وَلَا مِنْ خَلْقِهِ. خَلَصَ اللهُ الْإِسْلَامَ مِنْهُ، وَمِنْ أَمْثَالِهِ، وَأَرَاخَهُمْ مِنْ بَلَايَاهُمْ وَبَغْيِهِمْ، [...] <sup>(١)</sup> بِالْبَاطِلِ، وَقَبَّحَ مَنْ يَقْدَحُ النَّاسَ، وَيَهْدِرُ مَنَازِلَهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، آمِينَ آمِينَ! <sup>(٢)</sup>.

وَلَا يَرْتَابُ ذُو إِنْصَافٍ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ جَاوَزَ الْخَطَأَ وَالْوَهْمَ، وَأَوْغَلَ إِلَى الْإِفْتِرَاءِ وَالْقِحَّةِ، حَتَّى بَلَغَ الْقَاعَ مِنْهُمَا، وَكَذَا حَالُ أَكْثَرِ مَنْ جَهَرُوا بِعَدَاوَتِهِمْ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ، مِنْ خُصُومِهِ، لَا يَجِدُونَ لِلنَّيْلِ مِنْهُ غَيْرَ التَّكْذِبِ مُشْتَمًا، وَ أَمَّا الْمُنْصِفُونَ مِنْ مُخَالِفِيهِ فَيُنْكِرُونَ زَعَمَ التَّكْبِيرِ وَالْعُجْبِ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَاقْرَأْ مَا كَتَبَهُ أَحَدُهُمْ فِي ذَلِكَ، مِمَّا يَلِيْقُ أَنْ يُسَاقَ لِأَمْثَالِ ابْنِ السَّرَّاجِ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا اتِّهَامٌ لَيْسَ لَهُ أَسَاسٌ مِنْ وَقَائِعِ التَّارِيخِ، وَلَا حَيَاةٍ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ، فَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ عُجْبٌ وَلَا كِبَرٌ، بَلْ كَانَ الْمُتَوَاضِعَ الْقَرِيبَ مِنَ النَّاسِ الدَّانِي إِلَيْهِمْ، الْمَوْطَأَ الْكَتْفِ لِمَعَاشِرِيهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ فِيهِ بَعْضُ مَعَاشِرِيهِ: إِنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِالْعِزَّةِ إِلَّا فِي ضِيَاغَتِهِ. إِنَّمَا مَنْشَأُ ذَلِكَ الْإِتِّهَامِ الْكَاذِبِ قُدْرَتُهُ وَبَيَانُهُ، وَقَهْرُهُ لِلْمُجَادِلِينَ، وَشُنُّهُ الْغَارَاتِ الْبَيَانِيَةِ عَلَيْهِمْ، وَعَجْزُهُ الْمَطْلَقُ عَنْ أَنْ يَرُدُّوا بِمِثْلِ بَيَانِهِ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَرَمَوْهُ بِالْعُجْبِ، وَكَذَلِكَ يُرْمَى كُلُّ بَلِيغٍ فَصِيحٍ مُتَكَلِّمٍ يَقْهَرُ مُجَادِلِيَهُ، وَيَنْقُضُ عَلَيْهِمْ حُجَجَهُمْ مِنْ أَطْرَافِهَا، فَلَا يَجِدُونَ رَمِيَّةً يَغْضُؤُونَ بِهَا مِنْ قُدْرِهِ، وَيَسْتَرُونَ بِهَا عَجْزَهُمْ إِلَّا عُجْبَهُ وَتَوَاضِعَهُمْ، كَأَنَّهُمْ مَا

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) تشويق الأرواح، الورقة ١٤٢.

أَسْكَنَهُمْ إِلَّا التَّوَاضُعُ، وَمَا أَنْطَقَهُ إِلَّا الْعُجْبُ، فَهُمْ مَمْدُوحُونَ فِي صَمَتِهِمْ، وَهُوَ مَذْمُومٌ فِي حُجَجِهِ، وَتِلْكَ تَعِلَّةُ الْعَاجِزِينَ يَغْضُّونَ بِهَا مِنْ قَدْرِ الْقَائِلِينَ، فَقَدْ كَانَ فِي الْحَقِّ مُخْلِصاً بَرِيئاً، وَقَدْ وَصَلَ إِلَى أَعْلَى التَّقْدِيرِ، وَكَانَ يُمَكِّنُهُ الْإِحْتِفَازُ بِهِ لَوْ سَكَتَ، وَلَنَالَ رِضَا الْجَمِيعِ، وَلَكِنَّهُ أَثَرُ رِضَا الْخَالِقِ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِرِضَا الْمَخْلُوقِ، وَلَا قَى الْأَذَى، وَالرَّمْيَ بِالْإِلْحَادِ وَالزُّنْدَقَةِ، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الصَّابِرُ، وَالْقَادِرُ الشَّاكِرُ، وَهَذَا أَقْصَى مَرَاتِبِ الْإِخْلَاصِ وَدَرَجَاتِهِ»<sup>(١)</sup>

وَسَأَنْقُلُ لَكَ مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مَا يُظْهِرُ خَطَأَ الْحَافِظِ الذَّهَبِيِّ فِي تَحْلِيلِهِ لْجَانِبِ عِزَّةِ النَّفْسِ وَالْحِدَّةِ فِي شَخْصِيَّةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

قَالَ - مَثَلًا - فِي تَعْلِيلِ رَفْعِ صَوْتِهِ، فِي مَنَازَرَتِهِ مَعَ الرَّفَاعِيَّةِ، عِنْدَ اسْتِشْهَادِهِ بِخَبَرِ الدَّجَالِ، وَمَا سَيَقَعُ مِنْهُ حِينَ يَخْرُجُ، قَالَ: «...وَيَقْتُلُ رَجُلًا، ثُمَّ يَمْشِي بَيْنَ شَقِيَّهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَقُومُ، وَمَعَ هَذَا فَهُوَ دَجَالٌ كَذَّابٌ مُلْعُونٌ، لَعَنَهُ اللَّهُ، وَرَفَعْتُ صَوْتِي» وَقَالَ عَقِبَ هَذَا: «فَكَانَ لَذَلِكَ وَقَعٌ عَظِيمٌ فِي الْقُلُوبِ»<sup>(٢)</sup> وَكَانَ رَفْعُ الصَّوْتِ - أحياناً - رَدًّا عَلَى رَفْعِ الْخَصْمِ صَوْتَهُ، كَمَا وَقَعَ فِي الْمَنَازَرَةِ الْمَذْكُورَةِ وَغَيْرِهَا.

وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ سَنَةَ ٧٠٦ هـ، وَهُوَ فِي السِّجْنِ بِالْقَاهِرَةِ، مُمْتَحَنٌ بِفِتْنِ قُضَاةِ التَّعَصُّبِ لِلْفِكْرِ الْأَشْعَرِيِّ، وَنَمَائِمِ

(١) هَذَا رَأْيُ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ ابْنِ زُهْرَةَ (ت ١٣٩٤ هـ) فِي كِتَابِهِ: ابْنُ تَيْمِيَّةَ، حَيَاتِهِ وَعَصْرُهُ - آرَؤُهُ وَفَقْهَهُ. ص ٨٥، لَكِنَّهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - نَقَلَهُ مِنْ مَطْبُوعَةٍ نَسَبَتْ كَلَامَ الذَّهَبِيِّ إِلَى السِّيُوطِيِّ، وَقَدْ أَبْدَى فِي الْحَاشِيَةِ شَكَّهُ فِي ذَلِكَ لِتَأَخُّرِ وَفَاةِ السِّيُوطِيِّ عَنْ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ مَا رَمَقَتْ عَيْنُهُ... ثُمَّ قَالَ: «فَإِذَا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْكَلَامُ بَاطِلًا بِالنِّسْبَةِ بَرُّمَتُهُ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ قَدْ نَقَلَهُ السِّيُوطِيُّ عَنْ عَصَا ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَلَمْ يَذْكُرْ صَاحِبَهُ، وَالْكَلامُ فِي الْحَالِينَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى غَيْرُ صَحِيحٍ، فَمَا كَانَ فِي ابْنِ تَيْمِيَّةَ عُجْبٌ وَلَا شَبْهُ الْعُجْبِ».

(٢) مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى ١١/٤٦٦.



شيوخ التصوف، قال: «مع أنني في عمري - إلى ساعتي هذه - لم أذعُ أحداً قط في أصول الدين، إلى مذهب حنبليٍّ، وغير حنبلي، ولا انتصرتُ لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكرُ إلا ما اتَّفَقَ عليه سلفُ الأمة وأئمتُّها، وقد قلتُ لهم - غيرَ مرَّةٍ -: أنا أمهلُ مَنْ يُخالفني ثلاثَ سنين، إن جاء بحرفٍ واحدٍ، عن أحدٍ من أئمة القرون الثلاثة، يخالف ما قلته، فأنا أُقرُّ بذلك، وأما ما أذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم، وبألفاظ مَنْ نقلَ إجماعهم من عامة الطوائف.

هذا مع أنني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مِنِّي - أنني من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسَبَ مُعينٌ إلى تكفيرٍ، وتفسيقٍ، ومعصيةٍ، إلا إذا عَلِمَ أنه قد قامت عليه الحُجَّةُ الرِّسَالِيَّةُ، التي مَنْ خالفها كان كافراً تارةً، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وأني أقرُّ: أن الله قد غفرَ لهذه الأمة خطأها، وذلك يَعُمُّ الخطأ في المسائل الخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ، والمسائل الْعَمَلِيَّةِ»<sup>(١)</sup>

وقال: «وقلتُ له: أنا قد أحضرتُ أكثرَ من خمسين كتاباً من كُتُبِ أهل الحديث، والتصوف، والمتكلمين، والفقهاء الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، تُوافق ما قلتُ. وقلتُ: أنا أمهلُ مَنْ خالفني ثلاثَ سنين، أن يجيء بحرفٍ واحدٍ عن أئمة الإسلام، يُخالف ما قلته، فما الذي أَصْنَعُهُ؟!»<sup>(٢)</sup>

وقال: «ما ذكرتم من لين الكلام، والمخاطبة بالتي هي أحسن، فأنتم تعلمون أنني من أكثر الناس استعمالاً لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسنٌ،

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٦٥.

وحيثُ أَمَرَ اللهُ ورسولُهُ بالإِغْلَاطِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ لِبَغْيِهِ وَعُدْوَانِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَنَحْنُ مَأْمُورُونَ بِمُقَابَلَتِهِ، لَمْ نَكُنْ مَأْمُورِينَ أَنْ نَخَاطِبَهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَإِنَّهُ الْأَعْلَى بِنَصِّ الْقُرْآنِ. وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿١٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَيْكَ أَنَا وَرُسُلِي ﴿[المجادلة: ٢٠ - ٢١] وَاللَّهُ مُحَقِّقٌ وَعَدَهُ لِمَنْ هُوَ كَذَلِكَ، كَائِنًا مَنْ كَانَ.﴾

حَتَّى قَالَ: «وهذا - سواءٌ كانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ - الْأَصْلُ الَّذِي يَجِبُ اتِّبَاعُهُ هُوَ الْأَوَّلُ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَبْدُؤُوهُمْ بِقِتَالٍ، وَإِنْ أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالْأَنْبِلِ»<sup>(١)</sup> عَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ، وَلَمْ تَرْمِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَصَدُوا شَرَّنَا، وَبَعْدَ أَنْ أَكْثَبُونَا، وَلِهَذَا نَفَعَ اللَّهُ بِذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ: «وَمِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنْكَرَ عَلَى النَّاسِ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُنْكَرَ إِلَّا بِحُجَّةٍ وَبَيَانٍ، إِذْ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُلْزَمَ أَحَدًا بِشَيْءٍ، وَلَا يَخْطُرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا، بِلَا حُجَّةٍ خَاصَّةٍ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الْمُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ، الَّذِي أَوْجَبَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ فِيمَا أَدْرَكَتْهُ عَقُولُهُمْ، وَمَا لَمْ تُدْرِكْهُ، وَخَبَرَهُ مُصَدِّقٌ فِيمَا عَلَّمَنَاهُ، وَمَا لَمْ نَعْلَمْهُ».

ثُمَّ قَالَ: «هَذَا، وَأَنَا فِي سَعَةِ صَدْرِ لِمَنْ يُخَالِفُنِي، فَإِنَّهُ وَإِنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِيَّ بِتَكْفِيرٍ، أَوْ تَفْسِيقٍ، أَوْ افْتِرَاءٍ، أَوْ عَصِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، فَأَنَا لَا أَتَعَدَّى

(١) رواه البخاري في المغازي رقم الحديث (٣٩٨٤). وأكثبوكم: إذا قُربوا منكم.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٣٢-٢٣٣.

حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله، وأزنه بميزان العدل، وأجعله مؤتمماً بالكتاب الذي أنزله الله، وجعله هدى للناس، حاكماً فيما اختلفوا فيه».

حتى قال: «وإن أرادوا أن ينكروا بما شاؤوا من حُجج عقلية أو سمعية، فأنا أجيبهم إلى ذلك كله، وأبينه بياناً يفهمه الخاص والعام، أن الذي أقوله هو الموافق لضرورة العقل والفطرة، وأنه الموافق للكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وأن المخالف لذلك هو المخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول، فلو كنت أنا المبتدئ بالإنكار والتحديث بمثل هذا، لكانت الحجة متوجهة عليهم، فكيف إذا كان الغير هو المبتدئ بالإنكار؟ ﴿وَلَمَن اَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ (٤١) ﴿[الشورى: ٤١]﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]» (١)

وقال: «... فجاء بعد ذلك الفتاح» (٢) ومعه شخص ما عرفته، لكن ذكر لي أنه يقال له: علاء الدين الطيبرس (٣)، ورأيت الذين عرفوه أثنوا عليه - بعد ذلك - خيراً، وذكروه بالحسن، لكنه لم يقل - ابتداءً - من الكلام ما

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) الفتاح، بكتوت، بدر الدين، أمير مملوكي مالا المتوثب على عرش السلطنة: بيبرس الجاشنكير (ت ٧٠٩هـ)، ثم لما رجع الناصر للحكم قبض عليه، ومات جوعاً وعطشاً في سجن الإسكندرية سنة ٧١٠هـ. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٢٨٨، والمقفى الكبير ٢/ ٤٧٥. وقد ظنه بعض الفضلاء حارس السجن!

(٣) هناك غير واحد من أمراء المماليك أسماؤهم: علاء الدين طيبرس، ثلاثة منهم يحتمل أن يكون أحدهم هو المراد هنا: طيبرس الجندي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، وطيبرس الخزنداري، المتوفى سنة ٧١٩هـ، وطيبرس الساقى، المتوفى سنة ٧٤٨هـ. الدرر الكامنة ٢/ ١٣٧-١٣٨.

يَحْتَمِلُ الْجَوَابَ بِالْحُسْنَى، فَلَمْ يَقُلْ: الْكَلِمَةُ الَّتِي أُكْرِتْ: كَيْتَ وَكَيْتَ، وَلَا اسْتَفْهَمَ: هَلْ أَنْتَ مُجِيبٌ إِلَى كَيْتَ وَكَيْتَ؟

ولو قال ما قال مِنَ الْكَذِبِ عَلَيَّ، وَالْكَفْرِ وَالْمَجَادِلَةِ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَقْتَضِي الْجَوَابَ بِالْحُسْنَى، لَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَإِنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ أَنِّي مِنْ أَطْوَلِ النَّاسِ رَوْحاً وَصَبْراً عَلَى مُرِّ الْكَلَامِ، وَأَعْظَمِ النَّاسِ عَدَلاً فِي الْمَخَاطَبَةِ لِأَقَلِّ النَّاسِ، دَعُ لَوْلَاةِ الْأُمُورِ.

لكنه جاءَ مجيءَ الْمَكْرِهِ عَلَى أَنْ أُوَافِقَ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَأُخْرِجَ دُرْجاً فِيهِ مِنَ الْكَذِبِ وَالظُّلْمِ، وَالِدِّعَاءِ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَالنَّهْيِ عَنْ طَاعَتِهِ، مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَجَعَلْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَجِيبَهُ وَأَحْمِلَهُ رِسَالَةً يُبَلِّغُهَا، لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ وَيُبْلِغَهُ، بَلْ لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا مَضْمُونُهُ الْإِقْرَارُ بِمَا ذُكِرَ، وَالتَّزَامُ عَدَمِ الْعُودِ إِلَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فَمَتَى ظَلَمَ الْمَخَاطِبُ لَمْ نَكُنْ مَأْمُورِينَ أَنْ نُجِيبَهُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، بَلْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِعُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَ: إِنِّي لَا أَرَى أَوْبَاشاً مِنَ النَّاسِ خَلِيقاً؛ أَنْ يَفَرُّوا وَيَدْعُوكَ: «أَمْصُصْ بَظَرَ اللَّاتِ، أَنْحَن نَفَرٌ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟»<sup>(١)</sup>.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، مَنْ كَانُوا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً فَهُوَ الْأَعْلَى، كَائِناً مَنْ كَانَ، وَمَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

حَتَّى قَالَ: «وَلَمَّا رَأَيْتَهُ يُلْحَقُ فِي الْأَمْرِ بِذَلِكَ، أَغْلَظْتُ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ،

وقلت: دَغ هذا الفُشارَ، وقُم رُح في شُغلكَ، فأنا ما طلبتُ منكم أن تُخرجوني.  
وكانوا قد أغلقوا البابَ القائمَ الذي يُدخَلُ منه إلى البابِ المطبِقِ، فقلتُ -  
أنا- افتحوا لي البابَ حتَّى أنزِلَ، يعني: فرَغَ الكلامُ.

وجَعَل - غيرَ مرَّةٍ- يقول لي: أتخالفُ المذاهبَ الأربعةَ؟ فقلتُ: أنا  
ما قلتُ إلا ما يوافقُ المذاهبَ الأربعةَ، ولم يحكُم عليَّ أحدٌ مِنَ الحُكَّامِ إلا  
ابن مخلوف [ت ٧١٨هـ]، وأنتَ كنتَ - ذلك اليومَ - حاضراً.

وقلتُ له: أنتَ وحدكَ تحكُم، أو أنتَ وهؤلاء؟ فقال: بل أنا وحدي،  
فقلتُ له: أنتَ خصمي، فكيف تحكُم عليَّ؟ فقال: كذا؟ ومدَّ صوتَه، وانزَوَى  
إلى الزاوية، وقال: قُم قُم، فأقاموني، وأمروا بي إلى الحبس<sup>(١)</sup>

وصرَّح - رحمه الله - أنه لم يتكلم بالمباحث التي نقموا عليه الكتابة  
فيها، مع مَنْ لا تَبْلُغُ عقولُهم معانيه، وقال في ذلك: «وأما قول القائل: لا  
يُتَعَرَّضُ لأحاديثِ الصفاتِ وآياتِها عند العوامِ، فأنا ما فاتحتُ عامياً في  
شيء من ذلك قَطُّ».

حتَّى قال: «فأخذنا الجوابَ وذَهَبَا، فأطالا الغيبةَ، ثُمَّ رَجَعَا ولم يأتيا بكلامٍ  
محصَّلٍ إلا طلبَ الحضورِ، فأغلظتُ لهم في الجوابِ، وقلتُ لهم بصوتٍ  
رفيعٍ: يا مُبَدِّلِينَ، يا مرتدِّين عن الشريعةِ، يا زنادقةً، وكلاماً آخرَ كثيراً»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «وقلت - قَبْلَ حُضورِها-<sup>(٣)</sup> كلاماً قد بَعُدَ عهدي به، وغضبتُ

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) التسعينية، لابن تيمية ١/ ١١٧-١١٨.

(٣) يعني نسخة عقيدته (الواسطية) التي كتبها من نحو سبع سنوات قبل قيام متعصبة الأشاعرة  
عليه.

غضباً شديداً، لكنني أذكرُ أني قلتُ: أنا أعلمُ أنَّ أقواماً كذبوا عليّ، وقالوا للسلطان أشياء، وتكلّمتُ بكلامٍ احتجّتُ إليه، مثل أن قلتُ: مَنْ قامَ بالإسلام أوقاتَ الحاجةِ غيري؟ ومَنْ الذي أوضحَ دلائلهَ وبيّنه، وجاهدَ أعداءه وأقامه، لمّا مالَ، حينَ تخلّى عنه كلُّ أحدٍ، ولا أحدٌ ينطقُ بحُجّته، ولا أحدٌ يجاهدُ عنه، وقمتُ مُظهراً لحُجّته، مجاهداً عنه، مُرغباً فيه؟

فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ، فكيف يصنعون بغيري؟ ولو أن يهودياً طلب من السلطان الإنصافَ لوجِبَ عليه أن يُنصفه، وأنا قد أعفو عن حقّي، وقد لا أعفو<sup>(١)</sup>، بل قد أطلبُ الإنصافَ منه، وأن يُخضّرَ هؤلاء الذين يكذبون ليُحاوِلوا<sup>(٢)</sup> على افتراءهم، وقلتُ كلاماً أطولَ من هذا، من هذا الجنس، لكن بعدَ عهدي به، فأشارَ الأميرُ إلى كاتبِ الدُرَج - محيي الدين - بأن يكتبَ ذلك. وقلتُ أيضاً: كلُّ مَنْ خالفني في شيءٍ مما كتبتُه، فأنا أعلمُ بمذهبهِ منه»<sup>(٣)</sup>

وقال أثناء مناظرته لصفي الدين الهندي: (ت ٧١٥ هـ) حين اعترضَ الهنديُّ على معلومةٍ تاريخية، عن نشأة المعتزلة: «فغضبتُ عليه، وقلتُ: أخطأتُ، وهذا كذبٌ مخالفٌ للإجماع، وقلتُ له: لا أدبَ ولا فضيلةً، لا تأدّبَتَ معي في الخطابِ، ولا أصبَتَ في الجوابِ..»<sup>(٤)</sup>

وله - رحمه الله تعالى - سخريةٌ لاذعةٌ في النقد، كقوله: «... وبهذا

(١) في مخطوطة: ترجمة ابن تيمية لابن عبد الهادي (العقود الدرية) وردت هذه الجملة هكذا: (وأنا قد أغفر عن حقّي وقد لا أغفر).

(٢) في مجموع الفتاوى: (ليوافقوا) وهو خطأ.

(٣) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية (العقود الدرية) الورقة ٨٤، ومجموع الفتاوى ١٦٣/٣.

(٤) مجموع الفتاوى ١٨٣/٣.

يَخْصُلُ الْجَوَابُ عَمَّا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ: أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ، فِي كِتَابِهِ: (قُوتِ الْقُلُوبِ)، حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّهُ مَنْ أَنْكَرَ السَّمَاعَ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ، فَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى سَبْعِينَ صِدِّيقًا! (فَعَلَّقَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ): «وَلَعَلَّ الْإِنْكَارَ الْيَوْمَ يَقَعُ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ مِنَ الصَّدِّيقِينَ!»<sup>(١)</sup>. وَهُوَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - وَإِنْ أَتَى هَذَا الْأَسْلُوبَ فِي الْكَلَامِ وَالْكِتَابَةِ، فَلَهُ بِهِ الْحُجَّةُ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ قَالَ فِي مَوْضِعٍ حَمَلَ فِيهِ عَلَى تَأْوِيلَاتِ الْقَرَامِطَةِ وَالْفَلَّاسِفَةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالرَّافِضَةِ، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْهَرَاءِ، الَّتِي هِيَ فَوْقَ مُطْلَقِ الْكَذِبِ وَالِافْتِرَاءِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا تَلِيْقُ بِأَنْ تُقَرَّنَ بِحِكَايَاتِ السُّؤَالِ، وَلَوْ ذَكَرَهَا الْمَسَاخِرُ (الْمُسْخَرَاتِي أَوْ الْحِكْوَاتِي) لَمَنْ يَضْحَكُ مِنْهُ لِأَخَذُوا بِهِ الْأَمْوَالِ» وَعَقَّبَ عَلَى كَلَامِهِ هَذَا بِقَوْلِهِ: «وَقَدْ يَكُونُ الْعَيْبُ لَهُمْ، وَالْهَجَاءُ لَهُمْ، مِنْ أَنْوَاعِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ: حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ أَنْ يَهْجُوَ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ: (هُوَ أَنْكَأُ فِيهِمْ مِنْ وَخَزِ الْإِبْرِ)..<sup>(٢)</sup>».

وَأَنْقُلْ لَكَ بَعْضَ مَا جَاءَ فِي رِسَالَةٍ بَعَثَ بِهَا عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ، قَرَأَ بَعْضَ كِتَابِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَلَمْ يَلْقَهُ، تَأَمَّلْ تَأْثِيرَهَا «الْإِيجَابِيَّ» فِيهِ، فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَمَا هُوَ إِلَّا لِسَانُ حَالِ أَمْثَالِهِ عَلَى مَرِّ الدُّهْرِ، وَاسْمُ هَذَا الْعَالِمِ الْعِرَاقِيِّ: قَوَامُ الدِّينِ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدِ الشَّافِعِيِّ<sup>(٣)</sup>، بَعَثَهَا إِلَى الْإِمَامِ الْقَاضِي

(١) الاستقامة، لابن تيمية ١/٢٩٩.

(٢) جوابُ الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية، تحقيق: الأستاذ محمد عزيز شمس ص ١٠٣. والحديث الذي أشار إليه ابن تيمية بلفظ: (هو أَنْكَأُ فِيهِمْ مِنْ وَخَزِ الْإِبْرِ) لم أجده، وإنما لفظُ مسلم في صحيحه (٢٤٩٠): «... فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ».

(٣) لم أجده له ترجمة، غير أنه كان حيًّا بعد سنة ٧٢٨هـ، فقد ورد في رسالة له أرسلها إلى تلميذ شيخ الإسلام، والخبير بخطه: عبد الله بن رُشَيْقٍ (ت ٧٤٩هـ) أنه أراد وهو في طريق عودته من حجِّ سنة ٧٢٨هـ أن يزور أبا العباس وهو في معتقله في القلعة، لكنه سمع بخبر وفاته قبل

زين الدين عمر بن سعد الله الحنبلي، المعروف بابن بُخَيْخ (ت ٧٤٩ هـ) (١) قال: «...ولقد مَنَّْ اللهُ - سبحانه - على أهل هذا العصرِ بنعمةٍ عظيمةٍ ما قَدَرَ أَكْثَرُهُمْ قَدْرَهَا، ولا قامُوا اللهُ بِشُكْرِهَا، أقامَ لهم عالماً على رأسِ هذهِ المئةِ - وأَيَّ عالِمٍ - غَالِبُ الظَّنِّ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ ما عرفوه، وحاشَى اللهُ أَنْ يَعْرِفوه حقيقةَ المعرفةِ وَيَقْلُوه، وهذا المسكينُ كاتبُ هذهِ الأسطرِ، لم يَقِفْ على كلامه، ولم يَعْرِفْ حاله إلا قُرْبَ اعتقاله، وليت كان قبل ذلك بمدَّةٍ طويلةٍ، وأَيُّ حيلةٍ بعد قُوَّةِ الحيلةِ؟ ولكن في الله الخلف، وفي بقاياكم السُّلُوانُ عَمَّنْ سَلَفَ.

ولمَّا وصل إلى هنا بعضُ مُصَنِّفَاتِهِ، وَوَقَفَ على أصولِ مقالاتِهِ، واعتبرَ قواعدَ تأسيسَاتِهِ، في بُحُوْثِهِ ومناظراتِهِ، رأى - والله - شيئاً بَهْرَهُ، وشاهدَ أمراً حَيَرَهُ، ولا كان يَعْتَقِدُ أَنَّ مِثْلَ هذا البحثِ والبيانِ، يكون في قوَّةِ إنسانٍ، وما أَشْبَهَهُ بِرَجُلٍ مَوْثُورٍ يَطْلُبُ النَّارَ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَقِ الْمُخَالَفَةِ لِذَيْنِ الْإِسْلَامِ، لا يُبَالِي بِكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ، ولا يَتَزَعَّزَعُ إِنْ تَبَاعَ مَدَدُهُمْ، ولا تَهْوُلُهُ كَثْرَةُ جُمُوعِهِمْ، ولا يُتَغَتَّعُهُ تَهْدِيدُهُمْ أو تَهْوِيلُهُمْ، مِنْ تَابِعِهِمْ أو مَتَّبِعِهِمْ...» (٢).

= وصوله إلى الكوفة، ويبدو أنه كانت له رحلة في طلب الحق والرشاد كرحلة العماد الواسطي (ابن شيخ الحزامية)، رحمة الله تعالى عليهما.

(١) هذا القاضي ممن دَوَّخَ تَقَى الدين السبكي، لَمَّا كان الأخير في منصب رئاسة القضاة، قال تلميذه الوفي خليل الصفدي: «كان شيخنا العلامة... السبكي... يتألَّم ويتأذى منه وما يَتَحَلَّم، ولا يَنْفُذُ ما يحكمُ به ولا يَرَاهُ»، (أعيان العصر ٣/ ٦٣٠)، وقد أبان السبكي سبب ذلك في شيء كتبه وسمَّاه: (تذكرة لي ولمن يقفُ عليها)، قال: «...ومنه ما اشتهر عند الخاصِّ والعامِّ، مِنْ انتحاله أقوال ابن تيمية في كُلِّ شيء، ووقوفه عندها، وتمسُّكِه بها، وحُكْمِه بها، سواء أكانت مذهباً أم لا، هذا في الأحكام الفرعية، دَخَ ذِكْرُ الاعتقادات التي يَتَّبِعُه فيها، وما يقال: نسأل الله العافية والسلامة!». مِنْ مجموع فيه رسائل للسبكي بخطه. الورقة ٩١.

(٢) ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية (العقود الدرية) لابن عبد الهادي، مخطوطة (كوبرلي) في



وجاء في ترجمة ابن تَيْمِيَّة، التي جمَعها الحافظُ ابنُ عبد الهادي، هذا الموقفُ الدَّالُّ على شجاعته، بل على أعصابٍ مِنْ حديدٍ كانت من عطاء الله تعالى لهذا المصلِح الصابر، قال بعد حكايته اجتماعَ حُشودٍ من أتباع الطُّرُق الصوفية والعوام، في «مظاهرة» صاخبة عند قصر السلطان في (القلعة) بالقاهرة: «وَأَمَرَ مَنْ يَعْقِدُ لَهُ مَجْلِساً بدار العدل، فَعَقِدَ مَجْلِسٌ يومَ الثلاثاء، في العَشرِ الأوَّلِ من شوال، من سنة سَبْعٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ، وظَهَرَ في ذلك المجلس، من عِلْمِ الشيخ، وشجاعته، وقوَّةِ قلبه، وصِدْقِ توكُّله، وبيان حُجَّتِهِ، ما يَتجاوز الوصفَ، وكان وَقْتاً مشهوداً، ومجلساً عظيماً.

وقال له كبيرُ مِنَ المخالفين: مِنْ أَيْنَ لك هذا؟ فقال له الشيخ: مِنْ أَيْنَ لَا تَعْلَمُهُ! وَذَكَرَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ ذَلِكَ المَجْلِسَ: أَنَّ النّاسَ لما تَفَرَّقُوا [عنه] قامَ الشيخُ، ومعه جماعةٌ من أصحابه، قال: فجاء وجئتُ معه، إلى موضعٍ ذَكَرَهُ في دار العدل، قال: فَلَمَّا جَلَسْنَا اسْتَلْقَى الشَّيْخُ على ظَهْرِهِ، وكان هناك حَجَرٌ لِأَجْلِ تَثْقِيلِ الحَصِيرِ، فَأَخَذَهُ وَوَضَعَهُ تحت رَأْسِهِ، فاضْطَجَعَ قليلاً، ثُمَّ جَلَسَ، فقال له إنسانٌ: يا سيدي قد أَكْثَرَ النّاسُ عليك! فقال: إِنَّ هُمْ إِلَّا كالدُّبَابِ، وَرَفَعَ كَفَّهُ إلى فِيهِ، وَنَفَخَ فِيهِ. قال: وقامَ، وقُمْنَا معه، حتَّى خَرَجْنَا، فَأَتَيْتِ بِحِصَانٍ فَرَكِبَهُ، وَتَحَنَّنَ<sup>(١)</sup> بِذَوَابِتِهِ، فَلَمْ أَرِ أَحداً أَقْوَى قَلْباً، وَلَا أَشَدَّ بِأَساً مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>

قلت: والذي يَظْهَرُ أَنَّ هذه الصّورة - وأمثالها - مِنْ صُورِ شِجَاعَةِ شَيْخِ

= إصطنبول، الورقة ١٩٤.

(١) حُرِّفَتْ هذه الكلمة في المطبوعة إلى: (وهو يختال بذوابته)!

(٢) ترجمة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة (العقود الدرية) لابن عبد الهادي، مخطوطة (كوبرلي) في

إصطنبول، الورقة ٩٤.

الإسلام، وإقدامه البطولي، كان لهما تأثيرٌ في قلوبِ جَبُنَ أصحابها - في ذلك الوقت - ممَّن لو جُعِلوا في موقفٍ مشابهٍ لبعض مواقف أبي العباس، لتخلَّعت أكتافهم من رعدة فرائصهم، فحلَّلوا بنصبيهم من العقل والشجاعة، ما رأوه من آثارهما في شخصية شيخ الإسلام، فعبروا بعد ذلك في كتبهم بتعبيرٍ يُناسبُ شبه الخواء من ذلك فيهم، فقالوا: إنه رَجُلٌ مُتَّسِعُ الْعِلْمِ، زَاهِدٌ، فَاضِلٌ، إِلَّا أَنَّ عِلْمَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ، أَوْ أَرْجَحَ مِنْهُ، أَوْ أَنَّ فِيهِ شَيْئًا، أَوْ أَنَّهُ نَاقِضٌ وَرَّطَهُ فِي مَهَالِكٍ، وَأَوْقَعَهُ فِي مَضَاقٍ! <sup>(١)</sup>

### خُلَاصَةُ الْقَوْلِ:

وبعدُ، فقد يكون لأبي عبد الله الذهبي - رحمه الله تعالى - عذرٌ قاهرٌ، أَدَّاهُ لِيَكْتُبَ مَا كَتَبَ، فَعِلِمُ ذَلِكَ عِنْدَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ - سُبْحَانَهُ - وقد يكون الأمرُ على ما سَبَقَ الرَّأْيُ فِيهِ، فَمَا هُوَ - عِنْدُذْ - بِأَوَّلِ حَاكِمٍ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ. وَإِنَّهُ لَمِنْ بَالِغِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَعَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَعَلَى النَّاسِ، أَنْ لَمْ تَصْرِفْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ طُلَّابَ الْعِلْمِ عَنِ الْإِفَادَةِ؛ لَا مِنْ كُتُبِ مُؤَرِّخِ الْإِسْلَامِ، وَلَا مِنْ كُتُبِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ، إِدَامَةً لِحَسَنَاتِهِمَا، وَإِنِّي - وَاللَّهِ - مَا اِزْدَدْتُ إِلَّا حُبًّا لَهُمَا، بَعْدَ دِرَاسَتِي هَذِهِ، فَقَدْ عَلِمْتُ، فَيَمَنْ عِلِمَ، أَنَّ مَا يُلَحَظُ فِي ثَرَاثِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ الْعِلْمِيِّ، مِنْ حِدَّةٍ وَشِدَّةٍ فِي رُدُودِهِ عَلَى مُخَالَفِيهِ - وَجُلَّهِمْ مِنْ دُعَاةِ إِقْصَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فِي الْإِعْتِقَادِ

(١) فَاةً بِذَلِكَ، عَلَى التَّرْتِيبِ: ابْنُ الْجَزَرِيِّ (ت ٧٣٨هـ)، وَالتُّوْبَرِيُّ (ت ٧٣٣هـ)، وَابْنُ بَطُّوطة (ت ٧٧٩هـ)، وَابْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ (ت ٧٦٤هـ)، فِي كُتُبِهِمْ هَذِهِ: تَارِيخُ حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَأَنْبَاءُهُ، وَوَفَيَاتُ الْأَكَابِرِ وَالْأَعْيَانِ مِنْ أَنْبَاءِهِ ٢/ ٣٠٩، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي فَنُونِ الْأَدَبِ ٣٣/ ٢٧٧، وَتَحْفَةُ النَّظَّارِ فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ (رَحْلَةُ ابْنِ بَطُّوطة) ص ١١٢، وَالْغَيْثُ الْمَسْجُومُ فِي شَرْحِ لَامِيَةِ الْعَجَمِ ٢/ ٤٣٧.

والعمل - أنها كانت ردوداً مضبوطةً بميزان الشرع، وإذ كان الأمر كذلك فلا تَثْرِيْبٌ عليه، ولا خوف على «الآخر» من أن تُهْتَضَمَ حقوقه من جرّاء حِدَّةٍ صَدَرَتْ عنه، مادام يَغْلِبُهَا بحلمٍ وَصَفْحٍ.

لقد كان ابنُ تيميَّةَ أُمَّةً، قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا كَانَ بِهَا نَسِيحَ وَحْدِهِ، فَلَا يُظَنُّ - مثلاً - أَنْ يُفَارِقَهُ التَّوَاضُّعُ وَلَيْنُ الْقَوْلِ إِلَّا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ أَنْ يُفَارِقَاهُ فِيهِ، وَقَدْ يَجْتَهِدُ فِي مَوْضِعِ ذَلِكَ، وَلَئِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَقَلْتُهُ آفَاقاً، مِنْ كَلَامِهِ، دَلِيلٌ عَلَى سَلَامَةِ مَنَهِجِهِ، فَلَا تَكْفِيرَ عِنْدَهُ لِأَصْحَابِ الرَّأْيِ الْمُخَالَفِ، وَلَا خُرُوجاً عَلَى وِلَاةِ الْأَمْرِ، وَمَا عُنْتُ الْكَلِمَةَ عَلَى مُخَالَفِيهِ، فِي حِوَارِهِ، وَفِي كُتُبِهِ إِلَّا مِمَّا تَقْتَضِيهِ الشَّخْصِيَّةُ الْإِصْلَاحِيَّةُ أحياناً، وَتِلْكَ شَخْصِيَّةٌ لَا تَعْرِفُ الْمَوَارَبَةَ وَالْمَدَاهِنَةَ، وَهُوَ كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: «فَإِنِّي إِنَّمَا أَنَا لَوْنٌ وَاحِدٌ»<sup>(١)</sup>، وَقَدْ تَعَبَ مِثْلُ الذَّهَبِيِّ فِي سَبْرِهَا السَّنِينَ الْمُتَطَوِّلَةَ، أَشْكَلَ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ أَتَحَرٍّ مِنَ الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى وَالدِّكَاةِ فِي إِنْسَانٍ؛ يَرَاهُ إِذَا مَا أَغْضَبَ يَحْتَدُّ غَضْبُهُ، كَأَنَّهُ يُرْجَعُ بِوَاعِثِ ذَلِكَ فِي الْأَغْلَبِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ أَمْرًا لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحْتَدَّ لَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ، وَإِذْ رَأَاهُ مِرَاراً يَفْعَلُهُ، فَمَا هُوَ إِلَّا نِتَاجُ مَا حَسِبَ، وَعُذْرُهُ مَا تَقَدَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ السَّنَةِ لَا يَعْتَقِدُونَ الْعِصْمَةَ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَالْمَنْصُفُونَ مِنْهُمْ، الْعَالِمُونَ بِسِيرَةِ هَذَيْنِ الْعَلَمَيْنِ، يُبَرِّئُونَهُمَا عَنِ الْكَذِبِ وَالتَّكْبَرِ، وَيُخَاطَبُونَ عَقْلَاءَ مَنْ تَكَرَّرَ سَبِيلُ دَعْوَتِهِمَا، الَّتِي هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْمُسْلِمِينَ الصَّالِحِ، فَيُرَوْنَ مُوَلَّعِينَ بِحَشْدِ أَسْمَاءِ أَعْلَامٍ، تَكَلَّمُوا عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ تَيْمِيَّةَ، وَأَخْطَئُوا، وَيُلْهَجُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ بِاسْمِ الذَّهَبِيِّ وَبِرِسَالَتِهِ

هذه، في كلِّ محفلٍ و«موقع»: قال الذهبيُّ...، وكتبَ الذهبيُّ...، فإننا نخطبُهم قائلينَ لهم: مهلاً حنانيكم! وإن كان قد قالها مؤرخُ الإسلام، فإننا نهوُّن الخطبَ في ذلك بعبارةٍ واحدةٍ (كان ابنُ حزم يُكثرُ منها، وأعجبتِ الذهبيُّ!)، فنقول لكم: هذا فهمُ أبي عبد الله الحافظ، وقد أخطأ، «فكان ماذا؟».



نص رسالة :  
بيان زغل العلم  
في إصدار المؤلف الثاني لها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي

قال الشيخ أبو سعيد خليل بن العلائي: نقلت من خط شيخنا أبي  
عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - بعد أن قرأته عليه - قال بعد  
حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم:  
إِعلم - وَفَقَكَ اللهُ تعالى - أَنَّ في كُلِّ طائِفَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ ما يُدْمُ  
وَيُعَابُ، فَيُنْبَغِي أَنْ يُتَجَنَّبَ.

الْقُرَاءُ

فَالْقُرَاءُ الْمُجَوِّدَةُ: فِيهِمْ تَنْطَعُ زَائِدٌ، وَتَخْرِيرٌ، يُؤَدِّي إِلَى أَنَّ الْمُجَوِّدَ  
الْقَارِئَ تَبْقَى هِمَّتُهُ مَضْرُوفَةً إِلَى مُرَاعَاةِ الْحُرُوفِ، وَالْمَبَالِغَةِ فِي تَجْوِيدِهَا؛  
حَتَّى يَشْغَلَهُ ذَلِكَ عَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي كِتَابِ اللهِ تعالى، وَيَضُرِّفَهُ عَنِ الْخُشُوعِ  
فِي التَّلَاوَةِ، وَيُخَلِّيه قَوِيَّ النَّفْسِ، مُزْدَرِيًّا لِمَنْ يُحَفِّظُ الْقُرْآنَ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ  
بِعَيْنِ الْمَقْتِ، وَبِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَلْحَنُونَ، وَبِأَنَّ الْقُرَاءَ لَا يَحْفَظُونَ إِلَّا شَوَاذَ  
الْقِرَاءَاتِ، فَلَيْتَ شِعْرِي: أَنْتَ مَاذَا عَرَفْتَ؟! وَمَاذَا عَلِمْتَ؟

أَمَّا عَمَلُكَ فَغَيْرُ صَالِحٍ، وَأَمَّا قِرَاءَتُكَ فَفَقِيلَةٌ عَرِيَّةٌ مِنَ الْخُشُوعِ  
وَالْحُزْنِ وَالْخَوْفِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَفِّقُكَ، وَيُبَصِّرُكَ رُشْدَكَ، وَيُوقِظُكَ مِنْ  
رَقَدَةِ الْجَهْلِ وَالرِّيَاءِ.

وَصُدُّهُمْ قُرَاءَ النَّعَمِ وَالتَّمْطِيطِ، وَهَؤُلَاءِ - فِي الْجُمْلَةِ - مَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ  
بِقَلْبٍ وَخَوْفٍ قَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ، فِي الْجُمْلَةِ، فَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يُطْرَبُ وَيُبْكِي، وَيَقْرَأُ  
صَاحِحًا. <sup>(١)</sup> نَعَمْ، وَرَأَيْتُ مَنْ إِذَا قَرَأَ قَسَى الْقُلُوبَ، وَأَبْرَمَ النُّفُوسَ، وَبَدَّلَ  
كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسَوَّوْهُمْ حَالًا الْجَنَائِزِيَّةَ <sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا الْقُرَاءُ بِالرُّوَايَاتِ وَالْجَمْعِ، فَأَبْعَدُ شَيْءٍ عَنِ الْخُشُوعِ، وَأَقْدَمُ شَيْءٍ  
عَلَى التَّلَاوَةِ بِمَا يُخْرِجُ عَنِ الْقَصْدِ، وَشَعَائِرُهُمْ <sup>(٣)</sup> فِي تَكْثِيرِ وُجُوهِ حَمْزَةِ  
[ت ١٥٦ هـ] <sup>(٤)</sup>، وَتَغْلِيطِ تِلْكَ اللَّامَاتِ، وَتَرْقِيقِ تِلْكَ الرَّاءَاتِ.

إِقْرَأْ - يَا رَجُلُ - وَاعْفِنَا مِنَ التَّغْلِيطِ وَالتَّرْقِيقِ، وَفَرْطَةِ الْإِمَالَةِ، وَالْمُدُودِ،  
وَوَقْفِ حَمْزَةٍ. <sup>(٥)</sup>

(١) قال الذهبي في: معجم الشيوخ ٤٠٨/٢، في ترجمة المقرئ: أبي بكر بن عبد الحلیم  
العسقلاني (ت ٧١٣ هـ): «...وكان إذا قرأ هو والشيخ محمد بن الشوا [ت ٧٠٣ هـ]، أطربا  
وأبكيا»

(٢) هم الذين يقرؤون القرآن أمام الموتى. وقد ترجم الذهبي لأحدهم في كتابه: تاريخ الإسلام  
٩٤٠/١٥ في سطر واحد، فقال: «الموفق القيسي [ت ٧٠٠ هـ]. الشيخ الجنائزي، نقيب  
الوعاظ والموتى!»، وانظر: ترجمة رجلين منهم في الكتاب نفسه: ١٥/١٨٧، ٧٥٢.

(٣) في (ص): (شعائرهم)، وكذا هي في نسخ الإصدار الأول الأخرى.

(٤) قال الذهبي في: تاريخ الإسلام ٤٢/٤، في ترجمة: الإمام حمزة بن حبيب الزيات، رحمه الله  
تعالى: «...وبالجملة إذا رأيت الإمام في المحراب لهجاً بالقراءات، وتتبع غريبها، فاعلم أنه  
فارغ من الخشوع، محبٌ للشهرة والظهور، نسأل الله السلامة في الدين».

(٥) كانت بعد هذا الموضع في (ص) ونسخ الإصدار الأول عبارة: «إلى كم هذا؟».



وَأَخْرُ مِنْهُمْ إِنْ حَضَرَ فِي خَيْمَةٍ<sup>(١)</sup>، أَوْ تَلَا فِي مِحْرَابٍ، جَعَلَ دَيْدَنَهُ  
إِحْضَارَ غَرَائِبِ الْوُجُوهِ وَالسَّكْتِ، وَالتَّهَوُّعِ<sup>(٢)</sup> بِالتَّسْهِيلِ<sup>(٣)</sup>، وَنَادَى عَلَى  
نَفْسِهِ: أَنَا «أَبُو فَلَانٍ» اغْرِفُونِي؛ فَإِنِّي عَارِفٌ بِالسَّبْعِ!  
أَيْشٍ نَعْمَلُ بِكَ؟<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهِ إِنَّكَ حَجَرٌ مِنْجَنِيْقٍ، رُصَاصٌ ثَقِيلٌ عَلَى  
الْأَفْنِدَةِ!

### المَحَدُّثُونَ

وَأَمَّا أَهْلُ الْحَدِيثِ: فَعَالِبُهُمْ لَا يَفْهَمُونَ، وَلَا هِمَّةَ لَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ مَعَانِي  
الْحَدِيثِ، وَلَا فِي التَّدْنِيْنِ بِهِ، بَلِ الصَّحِيْحُ وَالْمَوْضُوعُ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ.  
إِنَّمَا هِمَّتُهُمْ فِي السَّمَاعِ عَلَى<sup>(٥)</sup> الشُّيُوخِ، وَتَكْثِيرِ الْعَدَدِ مِنَ الْأَجْزَاءِ  
وَالرُّوَاةِ، لَا يَتَأَدَّبُونَ بِآدَابِ الْحَدِيثِ، وَلَا يَسْتَفِيْقُونَ مِنْ سَكْرَةِ السَّمَاعِ.  
يَسْمَعُ أَحَدُهُم الْآنَ الْجُزْءَ، وَنَفْسُهُ تُحَدِّثُهُ: مَتَى يَرْوِيهِ؟ أَبْعَدَ خَمْسِينَ  
سَنَةً؟، وَيَحْكُ مَا أَطْوَلَ أَمَلَكَ! وَمَا أَسْوَأَ عَمَلِكَ!

مَعْدُورٌ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ [ت ١٦١هـ] إِذْ قَالَ فِيمَا رَوَى عَنْهُ حَمَّادُ بْنُ

(١) لَمْ تُنْقَطِ الْكَلِمَةُ فِي (ص)، وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْعَلَاثِي لَمْ يَنْقُطْهَا كَذَلِكَ، فَيُمْكِنُ قِرَاءَتُهَا: (خَتْمَةٌ) كَمَا فِي النُّسخِ الْآخَرَى.

(٢) التَّهَوُّعُ: التَّقْيُّؤُ.

(٣) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي (ص) وَنُسخِ الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ: (وَأَتَى بِكُلِّ خِلَافٍ).

(٤) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي (ص) وَفِي نُسخِ الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ عِبَارَةٌ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: (لَا صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ!)

(٥) فِي (ص) وَبَقِيَّةِ الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ قَيَّدَ (الشُّيُوخَ) بِكَلِمَةِ (جَهْلَةً)، فَكَانَتْ: (جَهْلَةُ الشُّيُوخِ).

زيد [ت ١٧٩هـ]: «لَوْ كَانَ الْحَدِيثُ خَيْرًا لَذَهَبَ كَمَا ذَهَبَ الْخَيْرُ»<sup>(١)</sup>

صَدَقَ - والله - وَأَيُّ خَيْرٍ فِي حَدِيثٍ مَخْلُوطٍ صَحِيحُهُ بِوَاهِيهِ؟ وَأَنْتَ لَا تُقَلِّبُهُ<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَبْحَثُ عَنْ نَاقِلِيهِ، وَلَا تَدِينُ اللَّهَ بِهِ.

أَمَّا الْيَوْمَ - فِي زَمَانِنَا - فَمَا يُفِيدُ الْمَحَدَّثَ الطَّلَبُ وَالسَّمَاعُ مَقْصُودُ الْحَدِيثِ أَبَدًا مِنَ التَّدِينِ بِهِ، بَلْ فَائِدَةُ السَّمَاعِ لِيُرْوَى<sup>(٣)</sup>.

خِطَابِي مَعَكَ - يَا مُحَدَّثٌ - لَا مَعَ مَنْ يَسْمَعُ وَلَا يَعْقِلُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَلَا يَتَجَنَّبُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا قَرَشَ الْحَشَائِشِ<sup>(٤)</sup>، وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يَصْدُقَ، فَيَا هَذَا! لَا تَكُنْ<sup>(٥)</sup> مِثْلِي، فَإِنِّي نَحْسٌ، أُبْغِضُ الْمُنَاحِسَ!

فَطَالِبُ الْحَدِيثِ يَنْبَغِي لَهُ أَوَّلًا أَنْ يُحْصَلَ<sup>(٦)</sup>: «الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ»، و«الْأَحْكَامُ» لِلضُّيَاءِ [ت ٦٤٣هـ]، أَوْ غَيْرِهِ، وَيُذَمِّنُ النَّظَرَ فِيهَا<sup>(٧)</sup>.

وَلَا أَقْلَ مِنْ تَحْصِيلِ كِتَابٍ مُخْتَصَرٍ، ك«الْإِلْمَامِ»، وَدَرَسِهِ، فَأُشِشِ

(١) حُذِفَ إِسْنَادُ الرِّوَايَةِ فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي (ص) وَنَسَخَ الْإِصْدَارُ الْأَوَّلُ وَهُوَ... إِذْ قَالَ، فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ التَّغْلِبِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ...، وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ بِإِسْنَادٍ وَلَفْظٍ آخَرَيْنِ، فِي كِتَابِ: (شَرْفُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ)، لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (ت ٤٦٣هـ)، وَهُوَ: «لَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الْخَيْرِ لَنَقَصَ كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْرُ». ص ٢٠٦، وَفِي إِسْنَادِهِمَا مَقَالٌ.

(٢) كَلِمَةُ (تَقْلِبُهُ) فِي (ص) غَيْرُ مَنْقُوطَةٍ، وَيُمْكِنُ قِرَاءَةُ الْكَلِمَةِ، كَمَا فِي بَعْضِ النُّسخِ: (تُقَلِّبُهُ).

(٣) ضُبِطَتْ ضَبْطَ قَلَمٍ فِي (ص): (يُرْوَى). وَكَانَ بَعْدَهَا هَذِهِ الْجُمْلَةُ: (فَهَذَا - وَاللَّهُ - لَيَغَيِّرُ اللَّهَ).

(٤) كَذَا كَتَبَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي الْأَصْلِ، وَلَمْ تُنْقَطْ بَعْضُ حُرُوفِهَا فِي (ص)، وَلَعَلَّ صَوَابَهَا مَا نَقَلَهُ ابْنُ طُولُونَ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فِي كِتَابِ (نَقْدِ الطَّالِبِ): (وَلَا قَرَّ مِنَ الْخَسَائِسِ).

(٥) فِي (ص): (لَا تَكُنْ مَجْرَمًا مِثْلِي)، وَفِي غَيْرِهَا: (لَا تَكُنْ مَحْرُومًا مِثْلِي).

(٦) فِي (ص): (أَنْ يَنْسَخَ).

(٧) فِي (ص) كَانَ اسْمُ (عَبْدِ الْحَقِّ) مَعَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ: (وَيُكْثِرُ مِنْ تَحْصِيلِ تَوَالِفِ الْبَيَّهْقِيِّ، فَإِنَّهَا نَافِعَةٌ).

هُوَ السَّمَاعُ الْمُجَرَّدُ عَلَى جَهْلَةٍ شَيْخَ يَنَامُونَ، وَ صَبِيَانٌ يَلْعَبُونَ، وَالشَّيْبَةُ يَتَحَدَّثُونَ وَيَمَزْحُونَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَنْعَسُونَ وَيُكَابِرُونَ، وَالْقَارِئُ يُصَحِّفُ وَيُحَرِّفُ، وَإِتْقَانُهُ فِي تَكْثِيرِ: «أَوْ كَمَا قَالَ»، وَالرُّضْعُ يَتَضَاغُونَ! (١).

خَلُونَا! فَقَدْ بَقِينَا ضُحْكَةً لِأُولِي الْمَعْقُولَاتِ، يَطْنَزُونَ بِنَا وَيَقُولُونَ:  
هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْحَدِيثِ؟!

نَعَمْ، يَا زَنْدِيقُ (٢) وَلَوْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا تَكَرُّرُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكَانَ خَيْرًا مِنْ أَقَاوِيلِكَ الْكَاذِبَةِ، الَّتِي تُضَادُّ الدِّينَ، وَتَطْرُدُ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ، وَتُرْدِي إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ.

لَكِنَّكَ مَعْدُورٌ، فَمَا رَأَيْتَ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَلَا أَوْلَهُمْ، أَمَّا أَهْلُ الْحَدِيثِ الْمَخْضَرِ فَأَوْلَهُمْ شَيْخٌ عَالِي الْإِسْنَادِ جِدًّا، بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاحِدٌ مَعْصُومٌ [عَنْ] مَعْصُومٍ، سَيِّدُ الْبَشَرِ، عَنْ جِبْرِيلَ، عَنِ اللَّهِ ﷻ، وَطَلَبْتُهُ مِثْلُ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ الْحَافِظُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالسَّادَةُ الْأُمَرَاءُ (٣) الَّذِينَ طَالَتْ أَعْمَارُهُمْ، وَعَلَا سَنَدُهُمْ، وَانْتَصَبُوا لِلرَّوَايَةِ الرَّفِيعَةِ.

فَحَمَلَ عَنْهُمْ مِثْلَ مَسْرُوقٍ [ت ٦٣هـ]، وَسَعِيدِ بْنِ الْمَسَيَّبِ [ت ٩٤هـ]، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ [ت ١١٠هـ]، وَالشَّعْبِيِّ [ت ١٠٤هـ]، وَعُرْوَةَ بْنِ

(١) مِنَ الضَّغَاءِ، يُقَالُ: ضَغَا الذُّبُّ وَالسَّنُّورُ وَالثَّعْلَبُ، إِذَا صَوَّتَ وَصَاحَ. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي بَعْضِ نَسَخِ الرِّسَالَةِ، وَفِي نَشْرَتِي الْكِتَابِ: (يَتَصَاعِقُونَ)!

(٢) لَيْسَتْ كَلِمَةُ (يَا زَنْدِيقُ) فِي (ص) وَلَا فِي النِّسْخِ الْآخَرِ، وَلَكِنْ نَجَدُ مَكَانَهَا كَلِمَةً: «يَا دَائِصُ»، مِنْ دَائِصٍ دَيْصًا وَدَيْصَانًا إِذَا زَاغَ، وَدَائِصٌ عَنِ الطَّرِيقِ يَدْيِصُ: عَدَلْ، وَدَائِصُ الرَّجُلُ يَدْيِصُ: فَرَّ، وَالدَّائِصَةُ: السَّيْفَةُ، لِكثْرَةِ حَرَكَتِهِمْ، وَاحِدُهُمْ: دَائِصٌ. انْظُرْ: الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ، لِابْنِ سَيِّدَةَ ٨ / ٣٥٨، وَقَدْ اسْتَخْدَمَهَا الذَّهَبِيُّ فِي: تَذَكُّرَةِ الْحُفَاطِ ص ٦، وَفِي: الْمُتَقَى مِنْ مُنْهَاجِ الْإِعْتِدَالِ ص ٥٩١، وَفِي رِسَالَتِهِ: الْمَقْدَمَةُ الزَّهْرَاءُ فِي إِضْحَاحِ الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى ص ١٧.

(٣) فِي (ص): (وَسَادَةُ النَّاسِ).

الزُّبَيْرِ [ت ٩٤هـ]، وأشباهِهِم - رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ - مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَأَرْبَابِ الرَّوَايَةِ وَالذَّرَايَةِ، وَالصَّدَقِ وَالْعِبَادَةِ، وَالْإِتْقَانِ وَالزَّهَادَةِ،<sup>(١)</sup> مِثْلُ: الزُّهْرِيِّ [ت ١٢٤هـ]، وَقَتَادَةَ [ت ١١٨هـ]، وَالْأَعْمَشَ [ت ١٤٨هـ]، وَابْنَ جُحَادَةَ [ت ١٣١هـ]، وَأَيُّوبَ [ت ١٣١هـ]، وَابْنَ عَوْنٍ [ت ١٥١هـ]. وَأُولَئِكَ السَّادَةُ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ مِثْلُ الْأَوْزَاعِيِّ [ت ١٥٧هـ]، وَمَالِكٍ [ت ١٧٩هـ]، وَالثَّوْرِيِّ [ت ١٦١هـ]، وَالْحَمَّادَيْنِ<sup>(٢)</sup>، وَاللَّيْثَ [ت ١٧٥هـ] وَخَلَقَ سِوَاهُمْ، مِنْ أَشْيَاخِ ابْنِ الْمُبَارَكِ [ت ١٨١هـ]، وَالشَّافِعِيِّ [ت ٢٠٤هـ]، وَيَحْيَى بْنِ الْقَطَّانِ [ت ١٩٨هـ]، وَالْقَعْنَبِيِّ [ت ٢٢١هـ]، وَعِدَدٍ مِنْ أَعْلَامِ أئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَالْفَقْهِ فِي الدِّينِ، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، الَّذِينَ خَلَفَهُمْ مِثْلُ: أَحْمَدَ [ت ٢٤١هـ]، وَإِسْحَاقَ [ت ٢٣٨هـ]، وَعَلِيَّ بْنِ الْمَدِينِيِّ [ت ٢٣٤هـ]، وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ [ت ٢٣٣هـ]، وَأَبِي خَيْثَمَةَ [ت ٢٣٤هـ]، وَابْنَ كُرَيْبٍ [ت ٢٤٨هـ]، وَابْنَ نُمَيْرٍ [ت ٢٣٤هـ]، وَبُنْدَارَ [ت ٢٥٢هـ]، وَبَابَتَهُمْ مِثْلُ شَيْوْخِ الْبُخَارِيِّ [ت ٢٥٦هـ]، وَمُسْلِمٍ [ت ٢٦١هـ]، وَأَبِي دَاوُدَ [ت ٢٧٥هـ]، وَالنَّسَائِيَّ [ت ٣٠٣هـ]، وَأَبِي زُرْعَةَ [ت ٢٦٤هـ]، وَأَبِي حَاتِمٍ [ت ٢٧٧هـ]، وَمُحَمَّدَ بْنَ نَصْرِ [ت ٢٩٤هـ]،<sup>(٣)</sup> وَابْنَ خُزَيْمَةَ [ت ٣١١هـ]، وَخَلَاتِقَ مِمَّنْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أُلُوفٌ مِنَ الْحُفَّازِ، وَنَقْلَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ.

ثُمَّ تَنَاقَصَ هَذَا الشَّأْنُ فِي الْمِئَةِ الرَّابِعَةِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ، وَلَمْ

(١) فِي (ص): (الَّذِينَ مِنْ طَلَبَتِهِمْ مِثْلُ...).

(٢) يَعْنِي: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٦٧هـ، وَحَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٧٩هـ.

(٣) كَانَ اسْمُ: صَالِحِ جَزْرَةَ (ت ٢٩٣هـ) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فِي (ص) وَبَقِيَّةِ نَسْخِ الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ لِلرِّسَالَةِ، فَلَا يُدْرَى أَحَدُفَهُ الْمُؤَلِّفُ، أَمْ هُوَ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ؟

يَزَلْ يَنْقُصُ إِلَى الْيَوْمِ، فَأَفْضَلُ مَنْ فِي وَفَيْتَا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ - عَلَى قِلَّتِهِمْ -  
نَظِيرُ صِغَارٍ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ عَلَى كَثَرَتِهِمْ.

فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ مَشْهُورٍ بِالْفِقْهِ وَبِالرَّأْيِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ، أَفْضَلُ مِنَ  
الْمُحَدِّثِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ مِنْ مُتَكَلِّمِي الْقَدَمَاءِ أَعْرَفَ بِالْأَثَرِ  
مِنْ أَهْلِ سُنَّةِ زَمَانِنَا، فَمَا أَذْرَكُنَا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ إِلَّا طَائِفَةً؛ كَقَاضِي  
مِصْرَ وَعَالِمِهَا: ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ [ت ٧٠٢هـ]، وَالْحَافِظِ الْحُجَّةِ شَرَفِ الدِّينِ  
الدِّمِياطِيِّ [ت ٧٠٥هـ]، وَالْحَافِظِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ الظَّاهِرِيِّ [ت ٦٩٦هـ] <sup>(١)</sup>،  
وَالشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ بْنِ فَرْحٍ [ت ٦٩٩هـ]، وَنَحْوِهِمْ.

وَأَذْرَكُنَا مِنْ عَكْرِ <sup>(٢)</sup> الطَّائِفَةِ <sup>(٣)</sup>: شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الدَّقُوقِيِّ [ت ٦٩٥هـ]،  
بِالْغَا، وَنَجْمُ الدِّينِ بْنِ الْخُبَّازِ [ت ٧٠٣هـ]، وَعَبْدُ الْحَافِظِ الشَّرْوَطِيِّ  
[ت ٦٩٨هـ]. وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوَقْتِ أَنَا سٌ يَفْهَمُونَ هَذَا الشَّأْنَ،  
وَيَعْتَنُونَ بِالْأَثَرِ الْإِغْتِنَاءَ التَّامَّ، كَالْحَافِظِ جَمَالِ الدِّينِ الْمَزْيِيِّ [ت ٧٤٢هـ] <sup>(٤)</sup>،  
وَالْبَرْزَالِيِّ [ت ٧٣٩هـ]، وَابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ [ت ٧٣٤هـ]، وَقُطْبُ الدِّينِ  
الْحَلَبِيِّ [ت ٧٣٥هـ]، وَنَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ [ت ٧٥٦هـ]، وَابْنِ الْقَاضِي بَدْرِ  
الدِّينِ ابْنِ جَمَاعَةَ [ت ٧٦٧هـ]، وَابْنِ الْعَلَايِيِّ [ت ٧٦١هـ]، وَأَمِينُ الدِّينِ

(١) قَالَ عَنْهُ فِي: تَارِيخِ الْإِسْلَامِ (٨٣٥/١٥): «وَقَلَّ مَنْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ، بَلْ عُدِمَ!».

(٢) عَكْرٌ مِثْلُ: كَدَّرَ، يُقَالُ: عَكَرَ الْمَاءُ وَنَحْوَهُ عَكَراً: كَدَرَ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا: الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِمَّنْ ذَكَرَهُمْ.

(٣) قَوْلُهُ: (وَأَذْرَكُنَا مِنْ عَكْرِ الطَّائِفَةِ) لَيْسَ فِي (ص)، وَيَبْدُو أَنَّ كَلِمَةَ (الطَّائِفَةِ) حُرِفَتْ فِي بَقِيَّةِ  
النَّسْخِ فَكُتِبَتْ: (الطَّلِبَةُ).

(٤) كَانَ اسْمُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، بَعْدَ الْمَزْيِيِّ، فِي نَسْخَةِ (ص) وَجَمِيعِ نَسْخِ  
الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ لِلرِّسَالَةِ، وَيَدُلُّ حُذْفُهُ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ، عَلَى أَنَّ تَارِيخَ إِعَادَةِ كِتَابَةِ الرِّسَالَةِ مِنْ  
قَبْلِ الذَّهَبِيِّ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَلِذَلِكَ حُذِفَ مَعَ اسْمِهِ اسْمُ إِمَامٍ مُحَدِّثٍ آخَرَ، مِنْ مُحَدِّثِي  
الْوَقْتِ، هُوَ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ الْحَنْبَلِيُّ الَّذِي تَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٦هـ.

الواني [ت ٧٣٥هـ]، وفخر الدين ابن الفخر [ت ٧٣٢هـ]، وابن إمام جامع الصالح [ت ٧٤٥هـ]، ومحَبَّ الدين المقدسي [ت ٧٣٧هـ]، وفخر الدين التُّويزي [ت ٧٥٧هـ]<sup>(١)</sup>، وسَيِّدِي عبد الله بن خليل [ت ٧٧٧هـ]، وجماعة سِوَاهُمْ فِيهِمُ الْعَكْرُ وَالْغُثَاءُ - اللَّهُ يَسْتُرْ - والمرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، والسَّعِيدُ مَنْ نَهَضَ وَأَهَبَّ، وعلى الطاعة أَكْبَ، واللهُ الْمُوفُّقُ وَالْهَادِي.

### الْفُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةُ

على خَيْرٍ وَفَضْلٍ، إِنَّ سَلِمَ قُضَاتُهُمْ وَمُفْتُوهُمْ مِنَ التَّسْرِعِ فِي الدَّمَاءِ وَالتَّكْفِيرِ، فَإِنَّ الْحَاكِمَ وَالْمُفْتِيَ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يُرَاقِبَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَتَأَنَّى فِي الْحُكْمِ بِالتَّقْلِيدِ، وَلَا سِيَّمًا فِي إِرَاقَةِ الدَّمَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ تَقْلِيدَ إِمَامِهِمْ، فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ، مَسْأَلَةٌ مَسْأَلَةٌ، بَلْ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ قَوْلِهِ وَيَتْرَكُوا، كَمَا قَالَ مَالِكٌ: «كُلُّ وَاحِدٍ يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِهِ وَيُتْرَكُ، إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ»<sup>(٢)</sup> صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم.

فِيَا هَذَا! إِذَا وَقَفْتَ - غَدَاً - بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، فَسَأَلَكَ: لَمْ أَبْحَثْ دَمَ فُلَانٍ؟ فَمَا حُجَّتُكَ؟<sup>(٣)</sup> إِنْ قُلْتَ: قَلَدْتُ إِمَامِي. فَقَالَ لَكَ: وَأَنَا أَوْجَبْتُ عَلَيْكَ

(١) وهذا الاسم مما أضيف عند إعادة كتابة الرسالة، وليس في (ص) ولا في بقية النسخ، وقد قال عنه في: المعجم المختص (ص ١٥٦): «...الإمام العلامة، المحدث الفقيه، الورع الصالح، جمال الإسلام،...أخي وحببي، وشيخي وودادي، أحسن الله جزاءه...وهو خير مني وأشدُّ حبًّا لي في الله».

(٢) هذه كلمة مشتهرة عن الإمام مالك، وهي مبدأ عظيم في الدين، وقد جاءت آثار عن بعض الصحابة والتابعين، في معناه، ولكني ما وقفتُ على مصدرٍ ما ساق به سندًا إلى الإمام مالك.

(٣) كأنه يشير هنا - بخاصة - إلى ما جرى في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٢٦هـ، مِنْ حُكْمِ قَاضِي الْمَالِكِيَّةِ فِي دِمَشْقَ بِضَرْبِ عُنُقٍ: (ناصر الدين الهيتي) - وَإِنْ تَابَ وَأَسْلَمَ -

تقليد زَيْد؟<sup>(١)</sup>

بُتَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ» الْحَدِيثَ<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ: «لَا يَزَالُ الْمَرْءُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ»<sup>(٣)</sup>. نَعَمْ، مَنْ رَأَيْتُهُ زَنْدِيقًا، عَدُوًّا لِلَّهِ تَعَالَى، فَاتَّقِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَأَرِقْ دَمَهُ، بَعْدَ أَنْ تَتَأَنَّى فِيهِ قَلِيلًا، وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَوْفُوقُ.<sup>(٤)</sup>

### الشافعية<sup>(٥)</sup>

أَكْبَسُ النَّاسِ وَأَعْلَمُ مِنْ غَيْرِهِم بِالدِّينِ، وَأَسُّ مَذْهَبِهِمْ مَبْنِيٌّ عَلَى اتِّبَاعِ

= وكان هذا المقتول قد حفظ القرآن، وكتاب (التنبيه) في فقه الشافعية، ويبدو أنه وقع في شرك «الباخرية» من الصوفية فأضلوه، نَعَمْ، قد كان قَتْلُ للمتزندقة قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، لكن الذهبي قال في ترجمة الهيتي: «وقد كنتُ لَمُتُهُ وَخَوْفُهُ وَحَذَرُهُ مِنْ خَسَارَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَصْغَى إِلَيَّ قَوْلِي، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا مَاتَ عَلَيْهِ»، مع قوله في موضع آخر بأنه قُتِلَ: «على الزندقة الواضحة». انظر كتاب: تاريخ حوادث الزمان، لابن الجزري ١٠٦/٢، وذيل تاريخ الإسلام: ص ٢٤٤، وذيل العبر في خبر من عبر: ٧٥/٤.

(١) ليست كلمة: (زيد) في (ص)، وإنما فيها كلمة: (إمامك). ولا تستقيم الكلمتان معاً، فهي مما غيره الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري، رقم ٦٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٤٦٩ بلفظ: (مالم يُصَبِّ)، أما لفظ: يَتَنَدَّ، فقد جاء عند أحمد (١٧٤٧٢)، وابن ماجه (٢٦٨١) بلفظ (من لقي الله لا يشرك به شيئاً لم يتندد بدم حرام دخل الجنة).

(٤) كان سياق الكلام في (ص) هكذا: «...وأرق دمه ابتغاءً وجه الله تعالى، بعد أن تستفتي قلبك فيه، وتستخير الله تعالى فيه».

(٥) في (ص) وبقية النسخ يأتي الشافعية في الترتيب بعد الحنفية، وهنا قدّموا، فظاهر أنه تعديل من المؤلف، إذ لا يُظَنُّ أن يُقَدِّمَ على ذلك الناسخ خليل الحنفي، وتعليقه الآتي على كلام الذهبي في الحنفية ما سترى.

الحديث المتَّصِل الثَّابِت، وإمامُهُم مِنْ رُؤُوسِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ حَصَلَتْ - يَا فُلَانُ - مَذْهَبُهُ لِتَدِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، وَتَذْفَعُ عَنْ نَفْسِكَ الْجَهْلَ، فَأَنْتَ بَخِيرٌ، وَإِنْ كَانَتْ هِمَّتُكَ هِمَّةَ إِخْوَانِكَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْبَطَّالِينَ<sup>(٢)</sup>، الَّذِينَ قَضَوْهُمُ الْمَنَاصِبُ، وَالْمَدَارِسُ، وَالْدُنْيَا، وَالرِّفَافِيَّةُ، وَالثِّيَابُ الْفَاخِرَةُ، فَمَاذَا بَرَكَتُ الْعِلْمِ، وَلَا هَذِهِ نِيَّةٌ خَالِصَةٌ، بَلْ ذَا بَيْعٍ لِلدِّينِ بِحُسْنِ عِبَارَةٍ، وَتَعْجِيلٍ لِلْأَجْرِ، وَتَحَمُّلٍ لِلْوِزْرِ، وَغَفْلَةٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَوْ كُنْتَ ذَا صَنْعَةٍ لَكُنْتَ بَخِيرٌ، تَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَمِينِكَ، وَعَرَقِ جَبِينِكَ، وَتَزْدَرِي نَفْسَكَ، وَلَا تَتَكَبَّرُ بِالْعِلْمِ، أَوْ كُنْتَ ذَا تِجَارَةٍ لَكُنْتَ تُشَبِّهُ عُلَمَاءَ السَّلَفِ؛ الَّذِينَ مَا أَبْصَرُوا الْمَدَارِسَ وَلَا سَمِعُوا بِالْجِهَاتِ، وَهَرَبُوا لَمَّا طُلِبُوا لِلْقَضَاءِ، وَتَعَبَّدُوا بِعِلْمِهِمْ، وَبَدَّلُوهُ لِلنَّاسِ، وَرَضُوا بِثَوْبٍ خَامٍ وَبِكِسْرَةٍ، كَمَا كَانَ - مِنْ قَرِيبٍ - الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ [ت ٤٧٦هـ]، وَبِالْأَمْسِ: الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ، [ت ٦٧٦هـ]، وَكَمَا تَرَى الْيَوْمَ: عَبْدَ اللَّهِ بْنُ خَلِيلٍ<sup>(٣)</sup>.

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ؛ اخْذَرِ الْمَرَاءَ فِي الْبَحْثِ، وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا، وَلَا تُنَازِعْ فِي مَسْأَلَةٍ لَا تَعْتَقِدُهَا، وَاخْذَرِ الْكِبَرَ وَالْعُجْبَ بِعِلْمِكَ، فَيَا سَعَادَتَكَ إِنْ نَجَوْتَ مِنْهُ كَفَافًا؛ لَا عَلَيْكَ وَلَا لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا رَمَقْتُ بِعَيْنِي أَوْسَعَ عِلْمًا، وَلَا أَقْوَى ذِكَاءً مِنَ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ بْنِ تَيْمِيَّةَ [ت ٧٢٨هـ]،

(١) فِي (ص) وَالنَّسْخِ الْآخَرَى: (...وَمَنَاقِبُهُ جَمَّةٌ).

(٢) الْبَطَّالُونَ: جَمْعُ بَطَالٍ، وَهُوَ الرَّجُلُ الْفَارِغُ مِنْ عَمَلٍ مُفِيدٍ.

(٣) لَعَلَّ هَذَا الْمَوْضِعَ جَذَبَ انْتِبَاهَ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَقَالَ، وَهُوَ يَعْنِي

عَبْدَ اللَّهِ بْنِ خَلِيلٍ: «وَقَدْ بَالِغُ الذَّهْبِيِّ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ: بَيَانُ زَغَلِ الْعِلْمِ، وَفِي غَيْرِهِ...»

وَأُورِدَ كَلَامًا لِلذَّهْبِيِّ مِنْ: مَعْجَمِ الشُّيُوخِ ١/ ٣٣٠-٣٣١، وَالْمَعْجَمِ الْمُخْتَصَّصِ ١٢٦. وَانْظُرْ:

إِنْبَاءُ الْغَمْرِ: ١/ ١٦٩.



رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>، وَقَدْ تَعِبْتُ فِي وَزْنِهِ، وَفَتَشْتُهُ فِي سِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ، حَتَّى مَلِلْتُ،<sup>(٢)</sup> وقد رَأَيْتَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، مِنْ الْمُقْتِ لَهُ، وَالْأَزْدِرَاءَ بِهِ، وَالتَّكْفِيرَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ نَتِيجَةُ الْعُجْبِ، وَفَرَطِ الْغَرَامِ فِي رِثَاسَةِ الْمَشِيخَةِ، وَالْأَزْدِرَاءَ بِالْأُئِمَّةِ الْكِبَارِ<sup>(٣)</sup> وَمَا دَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ أَمْثَالِهِ<sup>(٤)</sup> أَكْثَرَ،

(١) كان قد كتب، كما في (ص) وبقية النسخ: «...ولا أقوى ذكاءً من رَجُلٍ يُقال له: ابن تيمية! مع الزُّهْدِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالنِّسَاءِ، وَمَعَ الْقِيَامِ فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ بِكُلِّ مُمَكِّنٍ».

(٢) يختلف الكلام، بعد هذا الموضوع، عما كان عليه في إصداره الأول اختلافاً ظاهراً، فقد كان في نسخة (ص) وبقية النسخ كالتالي: «...فَمَا وَجَدْتُ قَدْ آخَرَهُ بَيْنَ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَمَقْتَتُهُ نُفُوسُهُمْ، وَازْدَرَاوْا بِهِ وَكَذَّبُوهُ وَكَفَرُوهُ إِلَّا الْكِبَرُ وَالْعُجْبُ، وَفَرَطُ الْغَرَامِ فِي رِثَاسَةِ الْمَشِيخَةِ، وَالْأَزْدِرَاءَ بِالْكِبَارِ، فَانْظُرْ كَيْفَ وَبَالَ الدَّعَاوَى، وَمَحَبَّةَ الظُّهُورِ - نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الْمَسَامَحَةَ - فَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ نَاسٌ لَيْسُوا بِأَوْرَعَ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمَ مِنْهُ، وَلَا أَزْهَدَ مِنْهُ، بَلْ يَتَجَاوَزُونَ عَنْ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ، وَأَنَامَ أَصْدِقَائِهِمْ، وَمَا سَلَطَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَّقُواهُمْ وَجَلَّالَتِهِمْ، بَلْ يَذُنُّوهُ، وَمَا دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ أَتْبَاعِهِ أَكْثَرَ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ إِلَّا بَعْضُ مَا يَسْتَحِقُونَ، فَلَا تَكُنْ فِي رَيْبٍ مِنْ ذَلِكَ».

(٣) تقدّم الكلام على خطأ الحافظ في ذلك في أول الكتاب، ويقال هنا: كيف يكون فرط الغرام برِثَاسَةِ مَشِيخَةٍ عند رجل؛ قال المؤلف عنه: «...ما رَأَيْتَ فِي الْعَالَمِ أَكْرَمَ مِنْهُ، وَلَا أَفْرَغَ مِنْهُ عَنْ الدِّينَارِ وَالدرْهَمِ، لَا يَذْكُرُهُ وَلَا أَظُنُّهُ يَدُورُ فِي ذَهْنِهِ...؟! وقال هو عن نفسه: «...وإنْ حُسِبْتُ، فَالْحَبْسُ فِي حَقِّي مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ، وَاللَّهُ مَا أَطِيقُ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيَّ فِي هَذَا الْحَبْسِ، وَلَيْسَ لِي مَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْهِ، لَا إِقْطَاعِي، وَلَا مَدْرَسَتِي، وَلَا مَالِي، وَلَا رِيَاسَتِي وَجَاهِي» مجموع الفتاوى ٢١٦/٣، وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ): «...وقد عَرِضَ عَلَيْهِ قَضَاءُ الْقَضَاةِ قَبْلَ التَّسْعِينَ [٦٩٠هـ]، وَمَشِيخَةُ الشُّيُوخِ، فَلَمْ يَقْبَلْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ. قَرَأْتُ ذَلِكَ بِخَطِّهِ». الذيل على طبقات الحنابلة ٤/٤٩٨-٥٠٩، وأما أنه ازدري الكبار، فنعم، لكنه إنما ازدري مَنْ «قَدْ تَبَرَّهْنَ رَغْلَهُ» (هذا تعبير للذهبي في: سير أعلام النبلاء ١٤/٣٤٣)، ممن أشار المؤلف إليهم في ترجمة: نصر المنبجي (ت ٧١٩هـ) حين قال: «...ونقل إليه أوباش عن شيخنا ابن تيمية أنه يحطُّ على الكبار، فبنى على ذلك، فهَلَّا اتَّعَطَّتْ فِي نَفْسِكَ بِذَلِكَ، وَلَمْ تَحِطَّ عَلَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ؟ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مِنْ كِبَارِ الْأُئِمَّةِ، وَبَعْدُ فَكَلَامُ الْأَقْرَانِ لَا يَقْبَلُ كُلُّهُ، وَيَقْبَلُ مِنْهُ مَا تَبَرَّهْنَ!». ذيل تاريخ الإسلام ص ١٦٨.

(٤) يُفْهَمُ أَنَّ الذَّهْبِيَّ كَانَ يَخَالِفُ تَصَرُّفَاتِ «آيَّةٍ»، وَغَيْرِ «مَدْرُوسَةٍ» صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ تَلَامِيذِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ جَلَبَتْ لَهُ وَلَهُمْ مَزِيداً مِنَ الْأَذَى، وَأُورِدَ مُصَدِّرُ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي ذَلِكَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ

فلا تكن في رَيْبٍ من ذلك!

### الْحَنْفِيَّةُ

أَوَّلُو التَّدْقِيقِ والرَّأْيِ والذِّكَاةِ، والفضلُ مِنْ مِثْلِهِمْ<sup>(١)</sup> إِنْ سَلِمُوا مِنْ التَّحِيلِ على الرِّبَا، وإِبْطَالِ الزَّكَاةِ، ونَقْرِ الصَّلَاةِ، والعَمَلِ بالمَسَائِلِ التي يَسْمَعُونَ النُّصُوصَ النَّبَوِيَّةَ بِخِلَافِهَا.

فَإِذَا هَذَا!<sup>(٢)</sup> دَعُ مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ، وَاخْطَطْ لِدِينِكَ، وَلَا يَكُنْ هَمَّكَ الْحُكْمَ بِمَذْهَبِ إِمَامِكَ فِي الْمِيَاهِ وَالطَّهَارَةِ، وَالْوُثْرِ، وَالْأُضْحِيَّةِ،

= العينوسي (كان حياً سنة ٧٠٦هـ)، وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، وعبد الله الإسكندري (ت ٧٥٤هـ)، والصلاح الكتبي (ت ٧٦٤هـ)، وكانوا شباباً. وانظر: تاريخ حوادث الزمان، لابن الجزري: ١١١/٢-١١٤. ويُفهم أن غير الذهبي، ممن يعظم ابن تيمية، كانوا على هذا الموقف، منهم: عبد الرزاق الحلبي البزاز (كان حياً سنة ٧٥٨هـ)، فقد كتب على تعليق لعبد الله الإسكندري على نسخة من كتاب (بغية المرتاد) لابن تيمية قائلاً: «وعبد الله بن سعيد هذا هو الشهير بابن أزدبين، وهو صاحب الشيخ تقي الدين، سامحه الله تعالى فيما جناهُ على الشيخ من تصرفاته التي أنتجت فتناً كان عنها ما كان، ولا شك أنه لا يقصد ضرراً للشيخ، ولكن كان يُلْغِ ما يُوجب له أن يقول، فيقع ما يُسعى في سدِّ ذلك الخرق، ولمَّ ذلك السُّعْث، وإصلاح الشعب، ولم يزل المذكور كذلك إلى أن فارق الحياة الدنيا، وكان خيراً. نقله كما شاهده عبد الرزاق بن محمد بن أحمد الحلبي البزاز، لطف الله به». انظر: بغية المرتاد، لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٢، وترجمة الإسكندري في: المعجم المختص، ص ١٣٢.

(١) في (ص) وبقية النسخ: (والخير من مثلهم)، وقد ضُبِطَتْ ضَبْطَ قَلَمٍ فِي نَسَخَتَيْنِ: (مَنْ مِثْلُهُمْ) بحيث يُقرأ الكلام هكذا: «الْفُقَهَاءُ الْحَنْفِيَّةُ: أَوَّلُو التَّدْقِيقِ والرَّأْيِ والذِّكَاةِ والخير، مَنْ مِثْلُهُمْ...؟»، ولا يتأتى هذا الكلام من الحافظ الذهبي وهو شافعي وإمام من أئمة أهل الحديث.

(٢) كانت في (ص) والنسخ الأخرى: (فيا رجل).

فَأَنْتَ أَنْتَ، وَإِنْ كَانَتْ هِمَّتُكَ فِي طَلَبِ الْفَقْهِ الْجَدَالِ وَالْمِرَاءِ، وَالِانْتِصَارِ  
لِمَذْهَبِكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَتَحْصِيلِ الْمَدَارِسِ، وَالْعُلُوفِ، فَمَاذَا فَقْهًا أُخْرَوِيًّا،  
بَلْ ذَا فَقْهَ الدُّنْيَا.

فَمَا أَظُنُّكَ تَقُولُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ لَوَجْهِكَ،  
وَعَلَّمْتُهُ، فَاحْذَرُ أَنْ تَغْلَطَ فَتَقُولَهَا، يُقَالُ لَكَ: «كَذَبْتَ، إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ  
لِيُقَالَ لَكَ: عَالِمٌ، وَقَدْ قِيلَ»، ثُمَّ يُقَالُ: اسْحَبُوهُ إِلَى النَّارِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي  
صَحِيحِهِ (١).

فَلَا تَعْتَقِدْ أَنَّ مَذْهَبَكَ أَفْضَلُ الْمَذَاهِبِ، وَأَحَبُّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّكَ  
لَا دَلِيلَ لَكَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا لِمَخَالِفِكَ أَيْضًا، بَلِ الْأُثْمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى  
عَنْهُمْ - عَلَى خَيْرٍ كَثِيرٍ، وَلَهُمْ فِي صَوَابِهِمْ أَجْرَانِ، وَفِي خَطِئِهِمْ أَجْرٌ، فِي كُلِّ  
مَسْأَلَةٍ مَسْأَلَةٌ (٢).

### الحنابلة

هُمْ أَتْبَعُ لِلْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِهِمْ (٣)، وَفِيهِمْ دِينَ فِي الْجُمْلَةِ، مَعَ قَلَّةِ حَظِّ

(١) فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ (بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسَّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ) رَقْمُ ١٩٠٥.

(٢) عَلَّقَ النَّاسُخُ: خَلِيلُ بْنُ وَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ الْحَنْفِيِّ عَلَى الْحَاشِيَةِ بَعْدَ أَنْ قَرَأَ كَلَامَ الذَّهَبِيِّ فَقَالَ:  
«إِنَّمَا هُمْ أَهْلُ الرَّأْيِ، كَمَا لَقِبَهُمْ بِهِ الْمَخَالِفُ، عِنْدَ فَقْدِ الْمَسْمُوعِ عَيْنًا لَا مَعِينًا، لَا أَنَّهُمْ جَامِدُونَ  
مُطْلَقًا، عَلَى الظَّوَاهِرِ، فَعَطَّلُوا مِنْ أَصُولِ الشَّرْعِ أَصْلًا، وَلَا مَتَمَحِّضُونَ لِاتِّبَاعِ الرَّأْيِ مِنْ غَيْرِ  
دَلِيلٍ ظَاهِرٍ، فَيَأْتُوا بِمَا نُهُوا عَنْهُ قَوْلًا وَفِعْلًا، بَلِ الْفَوَا السَّمْعَ لِكُلِّ مَا يُتْلَى وَيُرَوَّى، وَأَتَّبَعُوا أَحْسَنَهُ  
فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ وَبَلَوَى، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَى، وَلَهُ الشُّكْرُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا أَبْلَى».

(٣) فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِي (ص) وَفِي بَقِيَّةِ نَسْخِ الْإِصْدَارِ الْأَوَّلِ: «وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ نَافِعٌ»، وَفِي (ص)  
هَذِهِ الزِّيَادَةُ: «...جَمَّةٌ نَافِعَةٌ».

[في الدنيا] <sup>(١)</sup>، والعلماء <sup>(٢)</sup> يتكلمون في عقيدتهم ويرمونها بالتجسيم، وبأنه يلزمهم، وكثير منهم بريء من التجسيم، والله تعالى يغفر لهم.

### التَّخَوُّيُونَ

لا بأس بهم، وعلمهم حسنٌ مُحتاجٌ إليه، [لكن] <sup>(٣)</sup> التَّخَوُّيُّ إذا أُمِنَ في العربية، وعَرِيَ من عِلْمِ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ بَقِيَ فارِغًا بَطَالًا لَعَابًا، ولا يسأله الله تعالى - و الحالَّةُ هذه - عَنْ عِلْمِهِ في الآخِرَةِ، بَلْ هِيَ كصَّنْعَةٍ مِنَ الصَّنَائِعِ، كَالطَّبِّ والحسابِ والهندسةِ، ولا يُثَابُ عليها إلا مع صِدْقِ النِّيَّةِ، ويُعاقَبُ إذا تَكَبَّرَ على الناسِ، ولم يَتَّقِ اللهَ تعالى، ولم يَصُنْ نَفْسَهُ. <sup>(٤)</sup>

### اللُّغَوِيُّونَ

قد عُدُّوا في زَمَانِنَا هذا <sup>(٥)</sup>، فَتَجِدُ الفقيهَ لا يَدْرِي لُغَةَ الفقه، والمُقرِّئَ لا يَفْهَمُ لُغَةَ القرآنِ، والمُحدِّثَ لا يَعْنِي بِلُغَةِ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ <sup>(٦)</sup>، لِيَفْهَمَ الْخِطَابُ.

(١) زيادة من (ص) ومن بقية النسخ.

(٢) في (ص): (الجهال)!

(٣) في الأصل: (من) والتصحيح من (ص).

(٤) في (ص) والنسخ الأخرى كان سياق الكلام هكذا: «... كَالطَّبِّ والحساب والهندسة، لا يُثَابُ عليها ولا يُعاقَب، إذا لم يتكبر على الناس، ولا يتحامق عليهم، واتقى الله تعالى، وتواضع، وصان نفسه».

(٥) هذه من مبالغات المؤلف، في هذه الرسالة، كيف؟ وقد لَقِيَ غير واحدٍ منهم، وفي مقدمتهم صاحب «لسان العرب» ابن منظور (ت ٧١١هـ).

(٦) كان السياق هكذا، كما في (ص) وبقية النسخ: (...) والمُحدِّثَ لا يَعْنِي بِلُغَةِ الْحَدِيثِ، فهذا

## المفسِّرون

قُلْ مَنْ يَعْنِي الْيَوْمَ بِالْتَّفْسِيرِ، بَلْ يُطَالِعُ الْمَفْسِّرُ - الْمَدْرُسُونَ - :  
تفسيرَ فخر الدين الرَّازي [ت ٦٠٦ هـ]، وفيه إشكالاتٌ وتشكيكاتٌ، لا  
يُنْبَغِي سماعُها. <sup>(١)</sup>

وأقوالُ السَّلَفِ في التفسيرِ مَلِيحَةٌ، لكنَّها ثلاثةُ أقوالٍ فصاعداً، فيُضَيِّعُ  
الحقُّ بَيْنَ ذَلِكَ، بَلْ إِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ مَعْنَيْنِ فَأَكْثَرُ عِبَرٍ كُلُّ مَنْهُمَ عَنْ وَاحِدٍ  
منها، فهذا لا بَأْسَ بها. <sup>(٢)</sup>

## الأصوليون

أَمَّا أَصُولُ الْفَقْهِ فَالَّةُ الاجتهادِ، وطَرِيقُ لاسْتِعْمَالِ الْأَدَلَّةِ، فَإِذَا  
حَصَّلَهُ الرَّجُلُ وَخَالَفَ الْحَقَّ، مِنْ قَوَاعِدِهِ، لَا تَبَاعِ إِمَامِهِ فِي التَّقْلِيدِ، كَانَ  
حُجَّةً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُ لِتَحْصِيلِ الْوُظَائِفِ، وَلِيُقَالَ، فَهُوَ عَلَيْهِ فِي  
الْآخِرَةِ مِنَ الْوَبَالِ. <sup>(٣)</sup>

= تَفْرِيطٌ وَجَهْلٌ، فَيُنْبَغِي الْإِعْتِنَاءُ بِلُغَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لِيَفْهَمَ الْخِطَابُ).

(١) فِي (ص) وَبَقِيَةِ النِّسْخِ: (...) فَإِنَّهَا تُحَيَّرُ، وَتُمْرُضُ وَتُرْدِي، وَلَا تُشْفِي غَلِيلاً، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ).

(٢) هُنَا اسْتَدْرَكَ الذَّهَبِيُّ مَا كَانَ فِي عِبَارَتِهِ سَابِقاً مِنْ خَطَأٍ، كَمَا (ص) وَفِي بَقِيَةِ النِّسْخِ: (...) وَأَرْبَعَةٌ

أَقْوَالٍ فَصَاعِداً، فَيُضَيِّعُ الْحَقُّ بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَكُونُ فِي جِهَتَيْنِ، وَرُبَّمَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ

مَعْنَيْنِ.، وَمَعْرُوفٌ كَلَامُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ حَوْلَ أَقْوَالِ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ، وَتَوْضِيحِهِ

أَنْ اخْتِلَافَهُمْ كَانَ اخْتِلَافَ تَنَوُّعٍ لَا اخْتِلَافَ تَضَادٍّ.

(٣) كَانَ الْكَلَامُ فِي (ص) وَالنِّسْخِ الْآخَرِ هَكَذَا: «أَصُولُ الْفَقْهِ لَا حَاجَةَ لَكَ بِهِ يَا مُقَلِّدٌ، وَيَا

مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، وَمَا بَقِيَ مَجْتَهِدٌ، وَلَا فَائِدَةٌ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ إِلَّا أَنْ يَصِيرَ

مُحْصِلاً مَجْتَهِداً بِهِ، فَإِذَا عَرَفَهُ وَلَمْ يَفُكْ تَقْلِيدَ إِمَامِهِ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئاً، بَلْ أُنْعَبَ نَفْسُهُ، وَرَكَّبَ

عَلَى نَفْسِهِ الْحُجَّةَ فِي مَسَائِلَ، وَإِنْ كَانَ يَقْرَأُ لِتَحْصِيلِ الْوُظَائِفِ لِيُقَالَ، فَهَذَا مِنَ الْوَبَالِ،

## وَأَمَّا أَصُولُ الدِّينِ

فهو اسمٌ عظيمٌ مُنطَبِقٌ على حِفْظِ الكتابِ والسُّنَّةِ، والتَّدِينِ بما اشْتَمَلَا عليه، فهما أَصُولُ دِينِ الإسلامِ، ليسَ إِلَّا، وَأَمَّا العُرْفُ في هذا الاسمِ فهو مُخْتَلِفٌ باختلافِ النَّحْلِ.

فأصُولُ دِينِ السَّلَفِ: الإيمانُ بالله، وَكُتُبُهُ، ورُسُلُهُ، وملائكته، وَصِفَاتِهِ، وبالْقَدَرِ، وبأنَّ القرآنَ المنزلَ كلامُ الله تعالى غيرُ مخلوقٍ، و الرِّضا عَنْ كُلِّ الصحابةِ، إلى غيرِ ذلكَ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ، مِنْ الإيمانِ بِالْبَعْثِ، وما يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا أَصُولُ دِينِ الْخَلَفِ: فهوَ ما صَنَّفُوا فيه، وَبَيْنَهُمْ اختلافٌ شديدٌ في مسائلَ مُزْمِنَةٍ؛ تَرْكُهَا مِنْ حُسْنِ الإسلامِ، مهما أمكنَ ذلكَ، فالأصوليُّ الواقفُ معَ الظواهرِ والآثارِ، يجعلُهُ مُخَالَفُهُ مُجَسِّمًا حَشَوِيًّا، والذي طَرَدَ التأويلَ في كُلِّ المسائلِ، جَهْمِيًّا مُعْتَزِلِيًّا، والذي أَثَبَّتَ البعضَ وتأوَّلَ البعضَ يقولونَ: متناقض. والسلامةُ والعافيةُ أَوْلَى بالمرءِ.

فإنَّ بَرَعْتَ في الأصولِ وتَوابعِها، مِنْ المنطِقِ، والحِكْمَةِ، وآراءِ الأوائلِ، ومَحَارَاتِ العُقُولِ، واعتَصَمْتَ - معَ ذلكَ - بالكتابِ والسُّنَّةِ، وَأَصُولِ السَّلَفِ، وَلَفَّقْتَ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ<sup>(١)</sup>، فما أَظُنُّكَ تَبْلُغُ في ذلكَ رُتَبَةَ

= وَهُوَ صَرَبٌ مِنَ الْخَبَالِ

(١) لا يُدْرَى هل أخطَرَ الحافظُ الذهبيُّ بباله شيخَه وصديقَه: الحافظَ المزيَّ وهو يكتب هذا الكلامَ؟ فإنه قال في ترجمته له في بعض كتبه: «وكان... محبًّا للآثار، معظمًا لطريقة السلف، جيّدَ المعتقد، وربما بحث بالعقل الملائم للنقل، فيصيب ويحسنُ غالباً بحسب ما يمكن، وربما غلط، وكان الكفُّ بمثله أولى عن الجدل، فإن المخالف ينتقد عليه ذلك ويُلزِمه التناقض بحسب نظره، فمذهب السلف في غاية الصلف، والسكوت أسلم، والله أعلم». ذيل

الشيخ تقي الدين بن تيمية، رحمه الله تعالى، وقد رأيت ما آل إليه أمره، من الإلزامات الباطلة، والهجم القبيح عليه، وقد كان قبل ذلك على طريق السلف، ثم صار - بعد ذلك - على ألوان، فعند جماعة من العلماء هو دجال أفاك كافر، وعند آخرين من عقلاء الأفاضل هو مبتدع فاضل بارع، وعند آخرين هو مُظْلِمُ الأمر مكسوف<sup>(١)</sup>، وعند عوام أصحابه هو حامي حوزة الدين، وحامل راية الإسلام، وحامي السنة النبوية<sup>(٢)</sup>، والله تعالى المستعان.<sup>(٣)</sup>

= تاريخ الإسلام ص ٣٨٤، وقال: «ترافق هو وابن تيمية كثيراً في سماع الحديث، وفي النظر في العلم، وكان يقرر طريقة السلف في السنة، ويعضد ذلك بمباحث نظرية، وقواعد كلامية، وجري بيننا مجادلات، ومعارضات في ذلك، تركها أسلم وأولى» تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٩.

(١) جمع الذهبي هنا بين نقده لابن تيمية، وبين إظهار موقفه الرفض للإلزامات خصوم ابن تيمية له، وبين عرض مواقف الناس منه، في أسلوب «سياسي» عجيب، وهو معذور في ذلك، للنكال الذي يتعرض إليه من عدد من أنصار ابن تيمية، وإلا فثناؤه الذي يبطل شين ما أورده هنا كثير، من ذلك قوله: «تقي الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً ومعرفة، وشجاعة، وذكاء، وتؤييراً إلهياً، وكرماً...»، وقوله في ترجمة الشيخ الدباهي (ت ٧١١هـ): «وجاور بالحرمين بضع عشرة سنة، وتأهل وأولد له، فلماً لمعت له أنوار شيخنا... ارتحل إلى دمشق بأهله، واستوطنها» ذيل طبقات الحنابلة ٤/ ٣٨٦، ٤٩٦، وقوله في ترجمة والد ابن تيمية، الإمام عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٦٨٢هـ): «وكان الشيخ الشهاب من أنجم الهدى، وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس» تاريخ الإسلام ١٥/ ٤٦٨.

(٢) وهل هناك كبير فرق بين ما قاله «عوام» أصحاب ابن تيمية، وما قلته أنت - أبا عبد الله - مما نقله عنك نجيب من أولئك «العوام»، أعني الإمام ابن عبد الهادي، وهو قولك: «... وإن سُمي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم، وهتك أستاذهم، وكشف عوارهم»؟. ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ (العقود الدرية): ص ٢٢، ألا يلتقي قولهم مع قولك: «... ونظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج، وأبهر براهين»؟! الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين ٤/ ٤٩٧.

(٣) جاء هذا الفصل في (ص) وفي النسخ الأخرى هكذا: «أصول دين الخلف: هو ما صنفوا فيه،

## المنطق

نَفْعُهُ قَلِيلٌ، وَضَرَرُهُ وَبِيلٌ، وَمَا هُوَ مِنْ عِلْمِ الْإِسْلَامِ، وَالْحَقُّ مِنْهُ كَامِنٌ فِي النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، بِعِبَارَاتٍ عَرَبِيَّةٍ، وَالْبَاطِلُ فَاهْرُبْ مِنْهُ، فَإِنَّكَ تَنْقَطِعُ مَعَ خَصْمِكَ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّكَ مُحِقٌّ، وَتَقْطَعُ خَصْمَكَ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّكَ عَلَى الْبَاطِلِ، فَهِيَ عِبَارَاتٌ دَهَاشَةٌ، إِنْ قَرَأْتَهَا لِلْفُرَجَةِ لَا لِلْحُجَّةِ، وَلِلدُّنْيَا لَا لِلآخِرَةِ، فَقَدْ ضَيَّعْتَ الزَّمَانَ، وَأَتَعَبْتَ الْحَيَوَانَ<sup>(١)</sup>، وَأَمَّا الثَّوَابُ فَيَأْسُ مِنْهُ، وَكُنْ مِنَ الْعِقَابِ عَلَى حَذَرٍ، وَالسَّلَامُ<sup>(٢)</sup>.

= وَبَنُوهُ عَلَى الْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ - مِمَّا كَانَ السَّلَفُ يَحْطُونَ عَلَى سَالِكِهِ، وَيُبَدِّعُونَهُ - وَيَبْنِيهِمْ اخْتِلَافٌ شَدِيدٌ فِي مَسَائِلٍ مُزْمِنَةٍ؛ تَرَكُّهَا مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْعَبْدِ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ أَمْرًا فِي الْقُلُوبِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْنِي جَرَّبَ، فَإِنَّ الْأُصُولِيَّةَ بَيْنَهُمُ السَّيْفُ، يُكْفَرُ هَذَا هَذَا، وَيُضَلَّلُ هَذَا هَذَا. فَالْأُصُولِيُّ الْوَاقِفُ مَعَ الظَّوَاهِرِ وَالْآيَاتِ - عِنْدَ خُصُومِهِ - يَجْعَلُونَهُ مُجَسِّمًا، وَحَشَوِيًّا وَمُبْتَدِعًا، وَالْأُصُولِيُّ الَّذِي طَرَدَ التَّأْوِيلَ - عِنْدَ الْآخَرِينَ - جَهْمِيًّا، وَمُعْتَزَلِيًّا وَضَالًّا، وَالْأُصُولِيُّ الَّذِي أَثْبَتَ بَعْضَ الصِّفَاتِ وَنَفَى بَعْضَهَا، وَتَأَوَّلَ فِي أَمَاكِنَ يَقُولُونَ: مُتَنَاقِضٌ. وَالسَّلَامَةُ وَالْعَافِيَةُ أَوْلَى بِكَ. فَإِنْ بَرَعْتَ فِي الْأُصُولِ وَتَوَابَعَهَا، مِنَ الْمَنْطِقِ، وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَآرَاءِ الْأَوَائِلِ، وَمَحَارَاتِ الْعُقُولِ، وَاعْتَصَمْتَ مَعَ ذَلِكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأُصُولِ السَّلَفِ، وَلَفَّقْتَ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، فَمَا أَظُنُّكَ فِي ذَلِكَ تَبْلُغُ رُتْبَةَ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ - وَلَا وَاللَّهِ تُقَارِبُهَا - وَقَدْ رَأَيْتَ مَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ، مِنْ الْحَطِّ عَلَيْهِ، وَالْهَجْرِ، وَالتَّضْلِيلِ، وَالتَّكْفِيرِ، وَالتَّكْذِيبِ بِحَقِّ وَبِباطِلِ، فَقَدْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُتَوَرِّأً مُضِيئًا، عَلَى مُحْيَاةِ سِيَمَاءِ السَّلَفِ، ثُمَّ صَارَ مُظْلِمًا مَكْسُوفًا، عَلَيْهِ قُتْمَةٌ عِنْدَ خَلَائِقِ مِنَ النَّاسِ، وَدَجَالًا أَفَّاكَأَ كَافِرًا عِنْدَ أَعْدَائِهِ، وَمُبْتَدِعًا فَاضِلًا مُحَقِّقًا بَارِعًا، عِنْدَ طَوَائِفِ مِنَ عُقَلَاءِ الْفُضَلَاءِ، وَحَامِلَ رَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَحَامِي حَوْرَةَ الدِّينِ، وَمُحْيِي السُّنَّةِ عِنْدَ عُمُومِ أَصْحَابِهِ. هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ<sup>(١)</sup>.

(١) يعني بـ«الحيوان»: الجسد البشري، أي: عذبت نفسك وأرهقتها.

(٢) لعل من أسباب ثناء الذهبي على المحدث الشيخ عبد الله بن خليل، ودعائه له في: تاريخ الإسلام ٨٤٧/١٥، عند ترجمته لوالده بقوله: «... والد صاحبنا المحدث عبد الله، أسعده الله» وفي: معرفة القراء الكبار ٧١٨/٢ عند ترجمة الدلاصي (ت ٧٢١هـ) بقوله: «بارك الله فيه»، هو انتصاحه برأي الذهبي في علم المنطق، فقد كان ممن طلبه ثم تركه، و«أقبل على شأنه».



## الحِكْمَةُ الفَلَسَفِيَّةُ

ما يَنْظُرُ فِيهَا مَنْ يُرْجَى فَلَاحُهُ، وَلَا يَزْكَنُ إِلَى اعْتِقَادِهَا مَنْ يَلُوحُ نَجَاحُهُ، فَإِنَّ هَذَا الْعِلْمَ فِي شِقٍّ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي شِقٍّ، لَكِنَّ ضَلَالَ مَنْ لَمْ يَذَرِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ بِالْفَلَسَفَةِ أَشَدُّ مِنْ ضَلَالِ مَنْ عَلِمَ شَيْئاً مِنَ الْإِسْلَامِ، فَوَاغَوْنَاهُ بِاللَّهِ! إِذَا كَانَ الَّذِينَ قَدِ انْتَدَبُوا لِلرَّدِّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ [قَدْ حَارُّوا] <sup>(١)</sup>، وَلَحِقَتْهُمْ كَسْفَةٌ <sup>(٢)</sup>، فَمَا الظَّنُّ بِالْمَرْدُودِ عَلَيْهِمْ؟! وَمَا دَوَاءُ هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَّا الْحَرَقُ وَالْإِعْدَامُ مِنَ الْوُجُودِ، وَالْأَخْذُ عَلَى أَيْدِي الْقَائِلِينَ بِهَا بِمَا يَرَدُّعُهُمْ، إِذِ الدِّينُ مَا زَالَ كَامِلاً حَتَّى عُرِّبَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ، وَنَظَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ. <sup>(٣)</sup>

## الحِكْمَةُ الرِّيَاضِيَّةُ

فِيهَا حَقٌّ مِنْ صَنَائِعِ هِنْدَسِيَّةٍ وَحِسَابٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَفِيهَا أَبَاطِيلُ مِنَ التَّنْجِيمِ وَمَا أَشْبَهَهُ، وَبَاطِلُهَا يُرَدِّي الْمَرْءَ فِي دِينِهِ، وَفَضِيلَتِهِ، وَحَقُّهَا صَنْعَةٌ وَإِتْقَانٌ، وَتَحْرِيرٌ، مِمَّا لَا أَجَرَ فِيهِ - غَالِباً - وَلَا وَزَرَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

= انظر: معجم الشيوخ ١/ ٣٣٠-٣٣١، والمعجم المختص ١٢٦.

(١) واضح أن هنا سقطاً من النسخ، والزيادة من (ص) وبقيّة النسخ.

(٢) يبدو أن الذهبي لم يقرأ كتاب: «درء تعارض العقل والنقل»، وكتاب: «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية»، لابن تيمية، فلو فعل لاستثناه من هذا التعميم.

(٣) كانت هذه الفقرة في (ص) والنسخ الأخرى هكذا: «وما دواء هذه العلوم وعلمائها والقائمين بها علماً وعقداً إلا الحريق والإعدام من الوجود، إذ الدين ما زال كاملاً حتى عُرِّبَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ، وَنَظَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، فَلَوْ أُعِدِمَتْ لَكَانَ فَتْحاً مُبِيناً!«.

## الحِكْمَةُ الطَّبِيعِيَّةُ

لا بأسَ بها، لكنَّها ليستَ مِنْ علومِ الدِّينِ، ولا ممَّا يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى،<sup>(١)</sup> إذا كان صاحبُها<sup>(٢)</sup>، عَدَلًا، خَيْرًا، كما رأينا جماعةً منهم، وقد يُثَابَرُ الرَّجُلُ على تَعْلِيمِهَا بالنِّيةِ، إن شاء الله تعالى.

## الإنشاء<sup>(٣)</sup>

فَنُ أبنَاءِ الدنيا، ليسَ مِنْ عِلْمِ الآخرةِ في شيءٍ، والكامِلُ فيه محتاجٌ إلى مَشَارَكَةِ قَوِيَّةٍ في العلومِ الإسلاميةِ. يُريدُ عَقْلًا تامًّا، وَرَزَانَةً، وَسُرْعَةً فَهْمٍ، وَقُوَّةَ تَخِيلٍ، وَبَصَرًا بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَخِبْرَةً بِالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَالسِّيَرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، وَفُنُونِ الْأَدَبِ، وَحُسْنَ كِتَابَةٍ.

لكنَّ يكونُ رَأْسُ مَالِ الْمُتَشَيْ تَقْوَى الله تعالى، وطاعته ومُراقبته، فربَّما وَضَعَ لَفْظَةً تُعْجِبُهُ يَهْوِي بها في النارِ، وهو لا يدري، وربَّما أَبْدَعَ في سَطْرِ رُتَّبَ عَلَيْهِ خَرَابٌ إِقْلِيمٍ، وربَّما أَعَانَ بِقَلَمِهِ على سَفَكٍ دَمٍ حَرَامٍ.

فَانْظُرْ أَيْنَ أَنْتَ يَا بَلِيغُ؟ قَدْ دَمَّ نَبِيُّكَ الْبَلَاغَةَ، وَقَالَ صَلَّى الله تعالى عليه

(١) في هذا الموضع في (ص) هذه العبارة: (...) ولا مِنْ زَادِ الْمَعَادِ، بَلْ هِيَ صَنْعَةٌ بِلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ.

(٢) في هذا الموضع من (ص) هذه العبارة: (سَلِيمُ الْاِعْتِقَادِ).

(٣) كان في الإصدار الأول للرسالة فقرة: (الفرضيون) قبل فقرة: (الإنشاء)، وقد حذفها الذهبي لما أعاد كتابة الرسالة، وهي كما في (ص) وبقية النسخ هكذا: «الْفَرَضِيُّونَ دَاخِلُونَ فِي الْفُقَهَاءِ، إِذْ هُوَ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ، وَهُوَ عِلْمٌ مَلِيحٌ، وَالْإِمْعَانُ فِيهِ يُقَوِّتُ الْوَقْتَ، وَالتَّوَسُّطُ فِي ذَلِكَ جَيِّدٌ، فَكَمْ مِنْ مَسْأَلَةٍ فِي الْفَرَائِضِ مَا وَقَعَتْ، وَلَا تَقَعُ أَبَدًا»

وسلم: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»<sup>(١)</sup>، وَكَمُلُ بَرَاةِ الْبَلَاغَةِ بِإِرْضَاءِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَبِنُضْحِ رَبِّ الْأَمْرِ، فَهُنَالِكَ كَمَالُ الْبَلَاغَةِ.

فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ فَدَيْنُكَ مَا مِنْهُ عَوْضٌ، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ كَفَاهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بَسَخَطَ اللَّهُ سَلْطَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مَنْ [أَنْضَاهُ]<sup>(٢)</sup>، ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

### الشُّعْرُ

هُوَ مِنْ فُنُونِ الْمُنَشِئِ، [وَهُوَ كَلَامٌ، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ] - وَهُوَ قَلِيلٌ - وَقَبِيحُهُ [قَبِيحٌ - وَهُوَ الْأَغْلَبُ] -<sup>(٣)</sup> وَبَيَّتْ مَالِهِ الْكَذِبُ، وَالْإِسْرَافُ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجْوِ، وَالنَّشِيبِ، وَالنُّعُوثِ، وَالْحِمَاسَةِ. وَأَمْلَحُهُ أَكْذَبُهُ، فَإِنْ كَانَ الشَّاعِرُ بَلِيغًا مُفَوِّهًا، مِقْدَامًا عَلَى الْكَذِبِ فِي لَهْجَتِهِ، مُصِرًّا عَلَى الْاِكْتِسَابِ بِالشُّعْرِ، رَقِيقَ الدِّينِ، فَقَدْ قَرَأَ مَقَّتَ الشُّعْرَاءِ فِي الْقُرْآنِ.

وَيَنْدُرُ فِي الشُّعْرَاءِ الْمَجُودِينَ مَنْ يَتَنَصَّلُ مِنَ الْهَجْوِ، وَرَبَّمَا أَدَّى الْأَمْرُ بِالشَّاعِرِ إِلَى الْكُفْرِ فِي الْإِفْرَاطِ - نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلَامَةَ - فَالشَّاعِرُ الْمُحْسِنُ كَحَسَّانَ [ت ٥٤هـ]، فِي الْمُتَقَدِّمِينَ، وَالصَّرْصَرِي [ت ٦٥٦هـ]، فِي الْمُتَأَخِّرِينَ، وَالْمُقْتَصِدُ كَابْنِ الْمُبَارَكِ [ت ١٨١هـ]، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ [ت ٥٩٧هـ]، وَالظَّالِمُ كَالْمُتَنَبِّي [ت ٣٥٤هـ]، وَابْنُ الْبُحْتَرِيِّ [ت ٢٨٤هـ]،

(١) رواه مالك في الموطأ ٩٨٦/٢ رقم الحديث ١٧٨٣، والبخاري في صحيحه. رقم الحديث ٤٨٥١.

(٢) كُتِبَتْ فِي جَمِيعِ النُّسخ: (أَرْضَاهُ)، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى. وَ(أَنْضَاهُ) أَي هَزَلَهُ وَأَذَابَهُ وَأَخْلَقَهُ، تَقَالُ لِلْبَعِيرِ الَّذِي كَدَّهَ الْعَمَلُ، فَهَزَلَ يَقَالُ: بَعِيرٌ نَضُو، وَنَاقَةٌ نَضُوءٌ.

(٣) مَا بَيْنَ مَعْكَوْفَتَيْنِ زِيَادَةً مِنْ (ص) وَبِهِ تَسْتَقِيمُ الْعِبَارَةُ فِي السُّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي.

وَالسَّفِيهِ الْفَاجِرُ كَابِنِ الْحَجَّاجِ [ت ٣٩١هـ]، وابن الهَبَّارِيَّةِ [ت ٥٠٩هـ]،<sup>(١)</sup> فَاخْتَرَ لِنَفْسِكَ أَيَّ وَادٍ تَسْلُكُ.

### الحَسَابُ وَشَرْعُ الدِّيَّانِ<sup>(٢)</sup>

هَذَا مِنْ عُلُومِ الْقَبْطِ وَالْفُزَسِ، لَيْسَ مِنْ عُلُومِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ صَنْعَةٌ وَمَعِيشَةٌ؛ يَنَالُ بِهَا الرَّجُلُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا، وَكُلَّمَا كَانَ أَمْهَرَ كَانَ أَشْرَقَ، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا، وَكَتَبَ لِقَضَاةِ الْعَدْلِ، وَبَاشَرَ الْإِيْتَامَ وَالصَّدَقَاتِ، وَمَالَ الْأَوْقَافِ وَالْمَدَارِسِ، وَلَزِمَ الْأَمَانَةَ وَأَتَقَنَ فَتَنَهُ، فَهَذَا مَحْمُودٌ وَمَأْجُورٌ بِنِسْبَتِهِ، وَقَدْ رَأَيْنَا جَمَاعَةً عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، نَعَمْ، وَرَأَيْنَا ذُنَابًا عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ. وَفَاسَقُ الْكُتُبَةِ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى<sup>(٣)</sup>.

(١) وَهنا علامة ظاهرة أخرى تدلُّ على أنَّ نسخة (برلين) إصدارٌ ثانٍ لهذه الرسالة، وليست نسخة كبقية النسخ، فقد زاد الذهبيُّ على أمثلة أسماء الشعراء أسماء أخرى، زاد: الصرصريُّ، وابنُ الجوزيُّ، والبحريُّ، وابنُ الهَبَّارِيَّةِ، و رأى أن يحذف عبارة تنبُّه أنَّ تسمية شخصٍ بعينه مثلاً عليها محظورٌ شرعاً، إذ فيه تكفيرٌ للمعنيِّ، وهو وشيخ الإسلام ابن تيمية كانا من أبعد الناس عن ذلك، وتلك العبارة هي: «والكافر كذَّوي الإِتِّحاد»، وهي في (ص) وبقية النسخ.

(٢) قال الإمام ابن قيم الجوزية: «...وأي شيء نفع المكسة تسميه ما يأخذونه ظلماً وعدواناً: حَقُوقاً سُلْطَانِيَّةً، وَتَسْمِيَةً أَوْضَاعِهِمُ الْجَائِزَةَ الظَّالِمَةَ الْمُتَنَاقِضَةَ لِشَرْعِ اللَّهِ وَدِينِهِ: شَرْعُ الدِّيَّانِ». (إعلام الموقعين) ١١٨/٣، وقال في كتاب آخر: «وَسَمَّوْا أَقْبَحَ الظُّلْمِ وَأَفْحَشَهُ: شَرْعُ الدِّيَّانِ» (إغاثة اللفهان) ٢١٦/١، قلت: يُفهم أنه نظامٌ وَضِعِيٌّ يقابل «الضرائب» في العصر الحاضر.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت. (٣) كان بعد هذا الموضع بقية للكلام، في (ص) وبقية النسخ، وهي: «... في السَّرَقِ، وعاقبة أمرهم وبيلةٌ، مِنْ الضَّرْبِ والمصادرة والفقر»

## الشُّرُوطُ<sup>(١)</sup>

عِلْمٌ حَسَنٌ شَرْعِيٌّ، مَنْ بَرَعَ فِيهِ وَلَزِمَ الْعَدَالَهَ وَالْوَرَعَ عَاشَ حَمِيداً، وَمَاتَ فَقِيداً، وَمَنْ بَرَعَ فِيهِ بِالْحَيْلِ وَالْمَكْرِ وَالذَّهَاءِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ خِزْيٍ فِي الدُّنْيَا، وَمَقْتٍ فِي الْآخِرَى: ﴿قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧].

## الْوَعْظُ

فَنِّ بِذَاتِهِ؛ يَحْتَاجُ إِلَى مُشَارَكَةٍ جَيِّدَةٍ فِي الْعِلْمِ، وَيَسْتَدْعِي مَعْرِفَةً حَسَنَةً بِالتَّفْسِيرِ، وَالْإِكْتِسَارِ مِنْ حِكَايَاتِ الْفُقَرَاءِ وَالزُّهَادِ، وَالسَّلَفِ، وَعُدَّتُهُ التَّقْوَى وَالزَّهَادَةُ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْوَاعِظَ زَاهِداً قَلِيلَ الدِّينِ، فَاعْلَمْ أَنَّ وَعْظَهُ لَا يَتَجَاوَزُ الْأَسْمَاعَ، فَكَمْ مِنْ وَاعِظٍ مُفَوِّهِ قَدْ أَبْكَى وَأَثَّرَ فِي الْحَاضِرِينَ، تِلْكَ السَّاعَةِ، ثُمَّ قَامُوا كَمَا قَعَدُوا، وَمَتَى كَانَ الْوَاعِظُ مِثْلَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ [ت ١١٠هـ]، وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ [ت ٥٦١هـ]، انْتَفَعَ النَّاسُ بِهِ، فَتَسَاءَلُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْماً نَافِعاً، وَمَغْفِرَةً شَامِلَةً، آمِينَ.

تَمَّ عَلَى يَدِ مُحَرَّرِهِ الْحَقِيرِ خَلِيلِ بْنِ وَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ الْحَنْفِيِّ

لِخَمْسِ خَلْفَيْنِ<sup>(٢)</sup> مِنْ شَوَالٍ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ ١٠٩٦هـ.



(١) هُوَ كَاتِبُ الشُّرُوطِ وَالْوَثَائِقِ وَالْعُقُودِ.

(٢) الصَّوَابُ: خَلْفُونَ.



## فهرس

٧	المقدمة.....
١١	المؤلف.....
١١	شيوخه.....
١٢	مكانته.....
١٣	من تصانيفه.....
١٥	وفاته.....
١٥	نسبة الرسالة للمؤلف.....
١٧	تاريخ تأليف الرسالة.....
١٩	الطبع السابق للرسالة.....
٢٠	عنوان الرسالة.....
٢١	النسخ الخطية.....
٣١	دراسة في الكلمات العائرة التي وصف بها شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة
٣٣	«فَرَحِمَ اللهُ امرأ... وَسَعَ نِطاقَ المعذرة!».....
٣٤	أكبر، وعُجِبْ، وُحِبْ مشيخة، وقُتِمَتْ مع هذه الفضائل؟!.....
٣٩	أين أخطأ الحافظ الذهبي؟.....
٤٢	ليس كبراً بل مهابة وعِزَّة نفسٍ امتزجا بحِدَّة مزاج.....
٦٦	خلاصة القول.....
٦٩	نص رسالة: بيان زغل العلم في إصدار المؤلف الثاني لها.....
٧١	القرءاء المُجَوِّدَةُ.....

٧٢	قرَاءُ النِّعَمِ وَالتَّمْطِيطِ .....
٧٢	الْقُرَاءُ بِالرُّوَايَاتِ وَبِالْجَمْعِ .....
٧٣	الْمَحَدِّثُونَ .....
٧٨	الْفُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةُ .....
٧٩	الشَّافِعِيَّةُ .....
٨٢	الْحَنَفِيَّةُ .....
٨٣	الْحَنَابِلَةُ .....
٨٤	النَّحْوِيُّونَ .....
٨٤	اللُّغَوِيُّونَ .....
٨٥	الْمَفْسَّرُونَ .....
٨٥	الْأُصُولِيُّونَ .....
٨٦	أُصُولُ الدِّينِ .....
٨٦	أُصُولُ دِينِ السَّلَفِ .....
٨٦	أُصُولُ دِينِ الْخَلَفِ .....
٨٨	الْمَنْطِقُ .....
٨٩	الْحِكْمَةُ الْفَلَسَفِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ .....
٨٩	الْحِكْمَةُ الرِّيَاضِيَّةُ .....
٩٠	الْحِكْمَةُ الطَّبِئَةُ .....
٩٠	الْإِنْشَاءُ .....
٩١	الشَّعْرُ .....
٩٢	الْحِسَابُ وَشَرْعُ الدِّيَّانِ .....
٩٣	الشُّرُوطُ .....
٩٣	الْوَعْظُ .....